بسم الله الرحمن الرحيم

وَبَعْد..

أَنْ تُهدي زَهْرَةً.. تُهْدِي الفَرَحَ بِلَوْنِها.. تَتَقدّمُ لِلعالَم بِمَشروعِ أحادِي لِلتَواصُل.. تَسْتَدْرِجُ مَنْ يَرْتاحُ لِشَكْلِها، يَأنَسُ لِعِطْرِها، وَمُلِمٌّ بِلُغَتِها.. ذلِكَ يَعْنِي أَنّكَ تَدْعُو إلى التَفَرّدِ.. وَفي التَفَرّدِ بَعْضٌ مِنَ الإثْرَةِ وَالأنانِيةِ.. وَعُذْراً لِلمُحِبين.

إمّا أنْ تَتَقدّمَ بِإضْمامَةِ زَهْرٍ تَتبارَى لِمعانَقَتِها فَراشاتُ الدّنْيا بَعْدَ أنْ رَسَمَتْها فُرْشاةٌ إلهيّةٌ، وَلَوّنَتْها بِكُلِّ أَلْوانِ قَوْسِ قُزَح، وَعَطّرَتْها بِوَلاءاتِ الحُبِّ لِآلِ البَيْتِ (عَلَيهِمُ السّلام).. ذَلِكَ يَعْنِي أَنّكَ تَفْتَحُ ذِراعَيْكَ لِكُلّ الخَيّرينَ المُتَناغِمينَ مَعَ أَلْوانِ الفِكْرِ الإنسَاني المُبْدِع مُتَوَسِّلاً بِما لَدَيْكَ مِنْ وَسائِلِ الجَمالِ لِنَيْلِ الرِّضا وَالتَواصُل.. وَذلِكَ يَعْنِي أَيْضاً أَنّكَ تَفْتَحُ أَكْثَرَ مِنْ بابٍ لِلعَقْلِ، وَتَصْبُو لِتأْسيسٍ مُنْتَدً لِتَمْجيدِ الرُمُوزِ الإنسَانِيّةِ عِبْرَ التاريخ.. وَلِلتَحاوُرِ مَعَ الجَديدِ الجَديدِ في الفِكْرِ وَالعِلْمِ وَالتَجْرِبَةِ ـ بَعْدَ تَنْقِيَةِ القَديمِ ـ بِأسْلوبٍ يُماشي العَصْرَ، وَيَتجاوَبُ مَعَهُ، وَيُجيبُ عَلى تَساؤلاتِهِ.. وَهذا مَا نَصْبُو إلَيْهِ.. وَمِنَ اللهِ التَوْفيق.

رئيس التحرير

من استطلاع المجلة..
مرقد فاطمة بنت الإمام الكاظم(ع)
(معصومة قم)

عرفانا بالجميل وأمانة للتاريخ

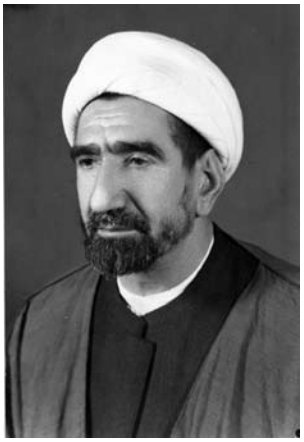

هو الشيخ محمد بن الشيخ عبد الحسين الرشتي.

ولد عام (١٣٣٤هـ) ودرس المقدمات والسطوح على أفاضل الحوزة في النجف الأشرف، وبلغ البحث الخارج وحضر عند زعيم الطائفة السيد محسن الحكيم(قده) مدة طويلة.

ساهم في قضية الإصلاح برفقة سماحة حجة الإسلام والمسلمين آية الله السيد محمد علي الحكيم(مد ظله) بعد أن نشبت فتنة كبرى في الباكستان بين فئتين شيعيتين فأرسلهما زعيم الطائفة السيد الحكيم(قده) للإصلاح بين الفئتين، فقاما خير قيام حتى أن السيد محمد سعيد عبقاتي المعني بهذا الموضوع ـ موضوع الفتنة ـ قال لسماحة السيد محمد علي الحكيم: (لو أن السيد الحكيم لم يرسل أحداً لما قضي على الفتنة، ولو أنه أرسل غيركما لما قضي عليها أيضاً).

وله تعود فكرة إنشاء مكتبة عامة من قبل السيد الحكيم(قده) بعد أن أنشأ السيد مكتبة تخص الكتب الدراسية في أعلى المقبرة التي هي بجوار جامع الهندي، فسعى الشيخ محمد الرشتي إلى تطوير هذه المكتبة ولشدة ارتباطه بالسيد الحكيم(قده) وثقة السيد به وبرأيه وافق على ذلك.

كانت نواة هذه المكتبة من المخطوطات هو شراء مخطوطات الشيخ محمد السماوي البالغة (٤٥٤) مخطوطاً وبعد أن تم الشراء نقل الشيخ محمد الرشتي أو مجموعة من هذه المخطوطات إلى السيد الحكيم(قده) فكانت شرح المجسطي ونهج البلاغة وتكملة الرجال للشيخ عبد النبي الكاظمي، فقال للسيد: (تكفي أن تكون المخطوطات الثلاثة هي مقابل الثمن المدفوع بأكمله فيكون ربحنا في المخطوطات الباقية)، وبقي مستمراً في متابعة شؤون المكتبة إلى عصر المد الشيوعي وانتشار الخوف في النجف الأشرف فأوعز لمدير المكتبة آنذاك الشيخ حليم الزين بترك المكتبة وأغلقت وبقيت تحت إدارته في تلك الفترة المظلمة، واستغل الفرصة ففهرس المطبوعات والتي كان عددها آنذاك (١٥٥٠) كتاباً، كما أنه فهرس المخطوطات مع الشيخ عزيز الغريباوي.

في سنة (١٣٨٠هـ) عاودت المكتبة فتح أبوابها واستلمها سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد تقي الحكيم ولم تخرج عن نظره ـ الشيخ الرشتي ـ فكان هو المتابع الأول لإدارتها.

وقد ذكرنا هذه الترجمة الموجزة عن حياة الشيخ محمد الرشتي عرفاناً بجميل جهوده، ومحافظة على أمانة النقل، وذلك إنا نشرنا في العدد (بسم الله الرحمن الرحيم) من مجلتنا (ينابيع) استطلاعاً عن (مكتبة الإمام الحكيم العامة) وفاتنا أن نذكر دور الشيخ المذكور فيها، فإن العصمة لله تعالى ولمن عصمه الله، راجين من القراء الكرام قبول العذر.

جناح المخطوطات المهداة من الشيخ محمد الرشتي لمكتبة الإمام الحكيم العامة

من رسالة سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)
إلى الشعب العراقي

لقاء سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) بمجموعة من طلبة الحوزة العلمية

لقاء سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ببعض علماء أهل السنة

العـــراق ـ ككثير من البلاد ـ قد جمع طوائـــف مختلفة في الدين والمذهب والقوميـــات وغير ذلك من الانتمـــاءات. وهذا أمر واقع فرض نفســـه علينا يجب الاعتراف به، والتعايش معه بالحكمة وحســـن التصـــرف، بنحو يجنب الجميع المشاكل والمضاعفات الخطيرة التي تفرزها الخلافات والمشاحنات.

ومهما بلـــغ الخلاف بين الفئات والطوائف المذكورة شـــدّة وحـــدّة فليس من الحكمة إلغاء بعضها لبعض وتجاهلها، والتعدي عليها وهضم حقها...

ولنا في سيرة أئمتنا (عليهم السلام) وتعاليمهم خير مرشد، نستضيء به في مسيرتنا، ونعالج به مشاكلنا...

لقاء سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) بممثل الصابئة المندائيين

لقاء سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) بممثل الطائفة المسيحية

شبهات المستشرقين حول المكي والمدني

* السيد رياض الحكيم
أستاذ في الحوزة العلمية

لقد درس بعض المستشرقين ظاهرة المكي والمدني وفكرة وجود خصائص لكل منهما، فحاولوا استخلاص ميزات وخصائص لكل من المكي والمدني.

ومن ثَمّ استنتجوا من ذلك أنّ القرآن خضع لظروف بشرية متأثرة بالمحيط والمجتمع، وبالتالي فهو غير مرتبط بالله تعالى المنزّه عن التأثر بهذه المؤثرات... فهو من تأليف (محمد)

لا من وحي السماء.

هذه هي الفكرة التي تدور حولها شبهاتهم هنا، وقبل أن نتطرّق إلى هذه الشبهات ومناقشتها بشكل تفصيلي، لا بدّ أن ننبّه إلى نقطة هامّة.

وهي أنّا يجب أن نفرّق بين خضوع القرآن للظروف والحالة البشرية ، وبين انسجامه مع الواقع الموضوعي وطبيعة التدرج الموضوعي للرسالة الإسلامية.

ويتجلّى الفرق بينهما من خلال آثار

وسمات كل من الحالتين، فمن آثار الحالة الأولى:

أ: التذبذب في المستوى الفني.

ب: المناقضة وعدم انسجام المفاهيم والمواقف والتشريعات.

ج: التطوّر التدريجي سواء بالنسبة للأسلوب أم بالنسبة للمضمون بسبب تراكم الخبرات أو نحوها.

د: انعكاس الحالات الإنسانية، مثل الانفعال والغضب والعاطفة ونحوها عليه وتأثره أسلوباً ومضموناً بها.

بينما نلاحظ أنّ آثار الحالة الثانية ـ أي الانسجام مع الواقع الموضوعي ـ تختلف تماماً عن طبيعة تلك الآثار، لأنّها ترجع إلى معايشة هذا الواقع واستيعابه، لتوجيهه وتطويره..

وعندما نرجع إلى القرآن الكريم لا نلمس أي مؤشر على خضوعه للحالة البشرية، ولا نجد فيه أي أثر من آثار هذا الخضوع، فليس فيه تذبذب في المستوى الفني أو مناقضة في المضمون، كما لا يخضع للتطوّر التدريجي ولا أمثال ذلك مما أشرنا إليه قبل قليل.

بل الملاحظ فيه انسجامه بأسلوبه ومضمونه مع متطلّبات المراحل التي كانت تمرّ بها مسيرة الرسالة الإسلامية الطويلة والمعقّدة خلال حياة الرسول ﷺ، وهذا يزيد القرآن عظمة وروعة ـ على العكس ممّا رامه هؤلاء المستشرقون ـ، إذ يؤكّد ارتباطه بقوة عليا محيطة بالواقع الموضوعي وقادرة على إدارته بأزمانه وتعقيداته وظروفه المختلفة من دون أن تنفعل وتتأثر هي بالظروف والمؤثرات.

إن القرآن الكريم لم يخضع للحالة البشرية المختلفة المستوى من حيث الثقافة، فليس فيه تذبذب في المستوى الفني أو مناقضة في مضمونه.

وقد التبس الأمر على هؤلاء المستشرقين ـ عن قصد أو من دون قصد ـ ولم يميّزوا بين الحالتين وطبيعة آثارهما، فجاء حكمهم معكوساً بعيداً عن الصواب، بينما كان حريّاً بهم أن يتأمّلوا في ظاهرة انسجام القرآن ـ رغم تنوّع مواضيعه ـ مع برهتين مختلفتين تماماً ـ قبل الهجرة وبعدها ـ وعدم تذبذب مستواه ولا تناقض مضمونه خلال هذه المسيرة الطويلة والمتشعبة، ويجعلوا هذا برهاناً على عدم كونه من تأليف البشر المتأثّر بمحيطه وظروفه وانفعالاته ومشاعره.

(أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[1].

(أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[2].

وبعد الانتباه لهذه النقطة الهامّة سنتناول تلك الشبهات ومناقشتها:

الشبهة الأولى:

إنّ القسم المكي يمتاز عن القسم المدني بطابع الشدّة والعنف بل السباب أيضاً، وهذا يدلّ على تأثّر محمد بالبيئة التي كان يعيش فيها، لأنّها مطبوعة بالغلظة والجهل، ولذا يزول هذا الطابع عندما ينتقل محمد إلى مجتمع المدينة، الذي تأثّر فيه ـ بشكل أو بآخر ـ

بحضارة أهل الكتاب وأساليبهم، وقد استشهد هؤلاء المستشرقون لتثبيت هذه الشبهة بمجموعة من السور المكية المطبوعة بطابع الوعيد والتهديد والتعنيف مثل سور (المسد) و(العصر) و(التكاثر) و(الفجر) وغيرها[٣].

والجواب عن هذه الشبهة هو :

أولا: إنّا نرفض تماماً اشتمال القرآن الكريم على السباب وكل مالا يليق، كما تشهد بذلك مراجعة الآيات القرآنية، رغم أنواع المآسي والتجاوزات التي مارسها أعداء النبي ﷺ ضدّه وضد أنصاره.

ثانياً: إنّ طابع الوعيد والإنذار لا يختص به القسم المكي، بل نجده كثيراً في القسم المدني حسب ما اقتضته الظروف، فمن ذلك قوله تعالى: **(يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)**[٤].

وقوله تعالى: **(إنّ الّذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النّار، كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم كذّبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب، قل للّذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد)**[٥].

وقوله تعالى: **(إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، خالدين فيها لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينظرون)**[٦].

وقوله تعالى: **(إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إنّ الله كان عزيزاً حكيماً)**[٧].

وهناك الكثير من الآيات المدنية المتضمّنة للوعيد والتهديد[٨].

كما نلاحظ الكثير من الآيات المكية التي تفيض سماحة ولينا مثل قوله تعالى: **(ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولي حميم، وما يلقّاها إلاّ الذين صبروا وما يلقّاها إلاّ ذو حظ عظيم)**[٩].

وقوله تعالى: **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انّه لا يحب الظالمين)**[١٠].

الشبهة الثانية:

إنّ القسم المكي يمتاز بقصر السور والآيات، وعرض المضمون بشكل موجز، بخلاف القسم المدني حيث نلاحظ السور الطوال فيه، مثل سور البقرة، والنساء، وآل عمران، وغيرها.

ويعود هذا التفاوت إلى تأثره بالبيئة التي عاشها (محمد)، حيث كان المجتمع المكي أُمّياً لا يستوعب

"إن القرآن الكريم يشتمل على كثير من الآيات المكية التي تفيض ليناً وأدباً رغم أنواع التجاوزات والمآسي التي مارسها أعداء النبي(ص) في مكة."

تفصيل المفاهيم، فجاءت الآيات والسور قصيرة موجزة، ثمّ لمّا عايش النبي ﷺ المجتمع المدني المتحضّر نسبياً تأثّر بهم فجاءت الآيات والسور طويلة بمضامين مفصّلة.

والجواب:

أولا: إنّا قد ذكرنا سابقاً إنّ قصر السور والآيات ليست خاصّةً بالقسم المكّي، بل نجد مثله في القسم المدني، كما أنّ طوال السور والآيات لا يختصّ بالقسم المدني، بل هو كثير في القسم المكّي، فوجود كلا القسمين يؤكّد أنّ اختيار نمط السورة أو الآية يتّبع متطلبات الموقف والظرف، وليس ناشئاً من محدودية في قدرات منزِّل القرآن الكريم.

وبهذا تفسَّر الكثرة النسبية للسور والآيات القصار في القسم المكّي والسور والآيات الطوال في القسم المدني، حيث أنّ الدراسات اللغوية المتخصصة أكدت أنّ الإيجاز يعتبر مظهراً من مظاهر القدرة الفائقة على التعبير، وهو بالتالي من مظاهر الإعجاز القرآني[١١].

وحيث نزل القرآن متحدّياً للعرب فكان قِصر الآيات والسور أقوى في الدلالة على الإعجاز البياني الذي يهزّ مشاعر المكيّين أكثر من غيره خصوصاً مع كثرة السور القصار وتنوّعها.

وربّما نضيف إلى ذلك ظروف المسلمين الخاصة آنذاك وتخفّيهم وتشتتهم بحيث يسهل عليهم الحفظ والتفاعل مع السور القصار، بينما اختلفت الظروف في المدينة حيث صاروا أمّةً،

> **إن قصر الآيات والسور في القرآن الكريم كان أقوى تحدياً للعرب في الدلالة على الإعجاز البياني الذي امتاز به، خصوصاً مع كثرة السور القصار وتنوعها.**

لهم كيانهم الخاص بهم.

وثانياً: لو افترضنا أنّ لطبيعة المجتمعين المكي والمدني وثقافتيهما دوراً في هذا التفاوت النسبي في أسلوبي القسمين، فهذا لا يقلّل من قيمة القرآن ولا ينفي ارتباطه بالسماء وعدم خضوعه للطبيعة البشرية، لأنّه لا يعني سوى انسجام القرآن مع الواقع الموضوعي من حوله، فهو يتحدّث بلغة المحيط والمجتمع الذي ينزل بينهم.

كما كان اختيار اللغة العربية له باعتباره قد نزل بين العرب وعلى رسول عربي. كل ذلك كي ينفذ إلى أعماق نفوس أبناء هذا المجتمع والتأثير فيهم وإقامة الحجة عليهم، باعتبار أن أرضهم وبلادهم مهد القرآن، وقد نبّهنا سابقاً ـ قبل استعراض هذه الشبهات ـ على ضرورة التفريق بين خضوع القرآن للطبيعة البشرية وبين انسجامه مع الواقع والظروف والمجتمع المحيط به، والذي يفترض أن ينطلق إلى الأمم الأُخرى من خلاله. وكما قلنا سابقاً يكون هذا الانسجام شاهداً إضافياً على انتسابه للسماء لا للبشر **(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله)**[١٢].

وقد ذكر علماء البلاغة أنّ مميزات المتكلم البليغ مراعاته لمقتضى الحال، إذ لكل مقام مقال كما جاء في المثل المعروف، وهل هناك أولى من كلام الله الحكيم الخبير في مراعاة ذلك؟

ثالثاً: إنّ تفاعل الإنسان مع المجتمع والبيئة الجديدة لا يتم بسرعة بين ليلة وضحاها، خاصةً ما يرتبط بتطوّر قدراته الذاتية وتفاعله

مع ثقافة المجتمع الجديد الذي يعيشه، ويكفينا لتأكيد هذه الحقيقة أن نلقي نظرةً على الجماعات المهاجرة إلى البلدان الأخرى والمعاناة التي يعانونها بسبب عدم قدرتهم على التفاعل مع مجتمعات هذه البلدان، حتى أنّ هذه المعاناة قد تمتد إلى أجيالهم اللاحقة.

بينما نلاحظ أنّ نزول القرآن الكريم تلاحق بمجرد هجرة النبي ﷺ للمدينة المنوّرة ولم تمرّ فترة انقطاع طويلة ريثما يتفاعل (محمد) مع المجتمع الجديد، فهل يعقل مع هذا أن يكون هذا القرآن من (محمد) خاصةً إذا عرفنا أنّ أول سورة مدنية هي سورة البقرة ـ أكبر سورة في القرآن ـ وانّ السور الست الأولى النازلة في المدينة، هي البقرة، الأنفال، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة، النساء، حيث تندرج فيها أكبر ثلاث سور في القرآن، وفيها القسم الكبير أو الأكبر من المفاهيم والتشريعات التفصيلية المتنوّعة فكيف استطاع (محمد) المكي المتأثر بالبيئة المكية الأُمية والساذجة ـ كما يزعمون ـ أن يغيّر خطابه بهذا المستوى من التباين خلال فترة وجيزة؟!

الشبهة الثالثة:

إنّ القسم المكي لم يتناول التشريع في مجالات العلاقات والشؤون المرتبطة بالمجتمع، ويرجع هذا إلى طبيعة بيئة مكة المتخلّفة، بينما نلاحظ اشتمال القسم المدني على ذلك بسبب تطور المجتمع المدني المتأثر بثقافة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

والجواب عن هذه الشبهة يتضح من خلال ما تقدم، فإنّ عدم تناول القسم المكي للتشريع يعود إلى انعدام موضوعه آنذاك حيث كان المسلمون أقلية متناثرة مستضعفة، ولا توجد أرضية لتطبيق هذه التشريعات الإسلامية فكان بيانها ـ آنذاك ـ سابقاً لأوانه.

وأمّا ادعاء تأثّر المشرّع الإسلامي بثقافة أهل الكتاب فهو ادعاء غير صحيح تكذّبه الشواهد، حيث نجد:

أولا: إنّ ابتداء التشريع الإسلامي كان بمجرد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وقبل أن يمرّ زمن طويل يسمح بتفاعل الرسول ﷺ مع أهل الكتاب.

وثانياً: إنّ التشريع الإسلامي يختلف اختلافاً جوهرياً مع التشريع المتداول لدى أهل الكتاب، وكانوا هم يدركون ذلك. ولذا لم يصدر منهم هذا الادعاء.

وهذه قضية هامّة حيث أنّ ادعاء تأثّر النبي ﷺ بأهل الكتاب لم يصدر إلاّ من المتأخرين، ولو كان له حقيقة لادعاه أهل الكتاب المعاصرون له، والذين كانوا يحاورون النبي ﷺ والمسلمين ويجادلونهم حتى وصل الأمر بنصارى نجران إلى طلب المباهلة مع شخص النبي ﷺ.

> **إنّ القرآن الكريم يحتوي على الكثير من الآيات التي تضمنت الأدلة والبراهين الدالة على أصول العقيدة وتعاليم الرسالة الإسلامية الخالدة.**

الشبهة الرابعة:

إنّ القسم المكي

لم يتضمّن الأدلة والبراهين على أصول العقيدة وتعاليم الرسالة الإسلامية على خلاف القسم المدني، وهذا مؤشّر آخر على تأثر القسم المكي بالمجتمع المكي الساذج البسيط، وتأثّر القسم المدني بمجتمع المدينة الحضاري المتطوّر، وانّ القرآن الكريم اكتسب العمق في البرهنة والاستدلال من أهل الكتاب المتواجدين والمؤثرين في مجتمع المدينة.

والجواب عن هذه الشبهة يتّضح من خلال ما تقدّم أيضاً، من رجوع ذلك إلى تفاوت متطلبات الموقف واختلاف طبيعة المجتمع الذي كان في المدينة عن المجتمع المكي من دون أن يعني ذلك تأثر القرآن وتطوّره تبعاً لتطور البيئة المحيطة به.

ونضيف على ذلك أنّا عندما راجعنا المصحف الشريف لاحظنا كثيراً من الاستدلالات في القسم المكي ممّا يعني انهيار الشبهة من أساسها.

فمن ذلك قوله تعالى: (**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون**)[١٣].

وقوله تعالى: (**لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون**)[١٤].

وقوله تعالى: (**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون... أو لم يكفهم انّا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم انّ في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**)[١٥].

وقوله تعالى: (**إنّ في السموات والأرض لآيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبثّ من دابة آيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون**)[١٦].

وقوله تعالى: (...**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير**)[١٧].

وهناك آيات أخرى كثيرة جداً في القسم المكي تضمّنت البرهنة والاستدلال■

المصادر

١. سورة محمد: ٢٤.
٢. سورة النساء: ٨٢.
٣. راجع علوم القرآن:٨٢.
٤. سورة البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.
٥. سورة آل عمران:١٠ـ١٢.
٦. سورة البقرة: ١٦١ ـ ١٦٢.
٧. سورة النساء: ٥٦.
٨. راجع تفصيل آيات القرآن الحكيم.
٩. سورة فصّلت: ٣٣ ـ ٣٥.
١٠. سورة الشورى: ٤٠.
١١. راجع علوم القرآن: ٥٥ ـ ٥٦.
١٢. سورة يونس: ٣٧.
١٣. سورة المؤمنون: ٩١.
١٤. سورة الأنبياء: ٢٢.
١٥. سورة العنكبوت: ٤٨ و ٥١ .
١٦. سورة الجاثية: ٣ ـ ٥.
١٧. سورة فاطر: ١٣ ـ ١٤.

الدلالة الصوتية والموسيقية في سورة الكوثر

* عادل عباس النصراوي
كلية الهندسة / جامعة الكوفة

اللغة العربية لغة الشعر.. فقد كرّمها الله تعالى بأن جعلها لغة القرآن الكريم حيث قال: (إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون) سورة يوسف الآية ٢، ولا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه من حيث كلماته وآياته ومقاطعه، وفواصله وسكناته ووصلاته، وكل شيء فيه جاء على وفق حكمةٍ إلهية باهرة. فقد سَحرَ القرآن بأسلوبه أساطين اللغة والأدب من العرب ببلاغته وفصاحته وأعجزهم عن أنْ يأتوا بسورةٍ من مثله برصفها وصفائها ونقائها واتساقِ حروفها ومبانيها وإحكام معانيها بما يلائم ألفاظها وحروفها وتنغيم كلماتها وجرسها بما يبهر السامع وتهزّه من أعماقه عند سماعها، وهذه المعاني تلائم كل الأجيال على مرّ العصور، فكل جيل يفهم ما يُناسبه منها بسبب رصف الألفاظ بهذه الطريقة العجيبة في القرآن، ولو استبدلت هذه الألفاظ بغيرها نرى أن القرآن لا يصلح لخطاب الناس كافة، فيُعتبر بديعُ نظم القرآن من خصائصه العليا، وهذه المسحة تتجلى في اتساق القرآن وائتلاف حركاته وسكناته ومدّاته وغنّاته واتصالاته اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً يسترعي الانتباه ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر منظوم أو منثور.

والقرآن معجزٌ كذلك في خاصيته الصوتية والتي تتجلى في الاختيار الدقيق والعجيب حتى للحرف الواحد ضمن الكلمة الواحدة أو اللفظة ضمن المقطع أو الآية، فإن من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية يشعر من نفسه ولو كان أعجمياً لا يعرف العربية بأنه أمام لحنٍ

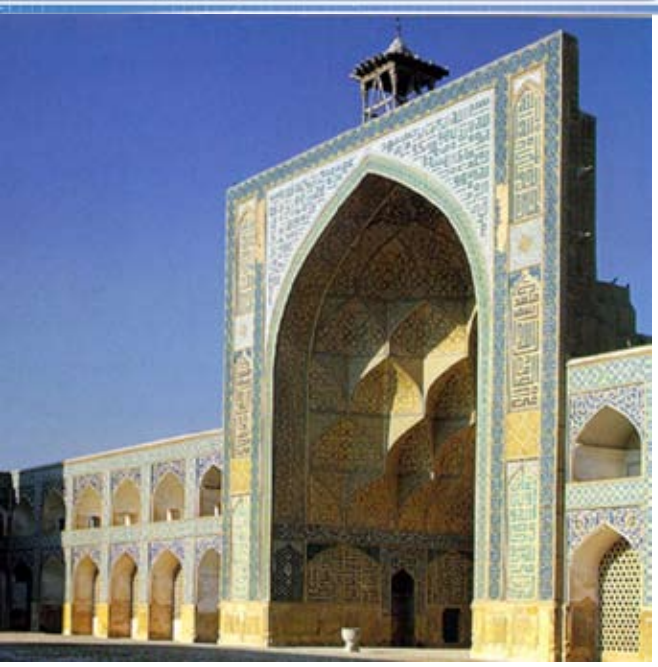

غريب، وتوقيع عجيب في حسنه وجماله؛ وذلك بفعل الجرس الصوتي لكلماته، حيث أن الجرس الصوتـــي الذي يرتكز عليه تنغيم النص يجد له طريقاً في نفس السامع في التفسير القرآني.

وهو معجـــزٌ أيضاً بموســـيقاه، فقد جمع القـــرآن بين موســـيقى الشـــعر، حيـــث نغمة الـــوزن والاهتزاز الصوتي، وموســـيقى النثر، حيث الإيقاع العميق الـــذي يحدثه دقة التوزيع وحســـنهِ بين الحروف. وهذا الجمال الصوتي والموســـيقي قد أهشَّـــت به الأذن العربية أيام نزوله، فلذا كان العـــرب مبهورين أمامه، حيث أنهم لم يعهدوا مثله كلاماً فيما عُرِفَ في منثور الكلام أو الشـــعر، ولكنهم بـــادئ ذي بدء خُيّل لهم أنه الشـــعر، لأنهم أدركوا بفعل حاســـتهم لإيقاعه وترجيعه لذة الشـــعر، ولكنهم بعد ذلك سُـــرعان ما عرفـــوا خطأهم حتى قـــال قائلهم (ما هو بالشـــعر) حيث أدرك بأنـــه ليس على أعاريض الشـــعر لا في رجزه ولا في قصيده، وهـــذا واضح، فقـــد نجد أن بعـــض أعاريض الشعر تتفق مع سياق الآية في بعض أجزائها، وقـــد ينتقل من عروضة إلى أخرى ضمن الآية الواحـــدة، ونجد ذلك في ســـورة الكوثر ـ على ســـبيل المثال ـ فالآية الأولى يتفق سياقها مع (مخبـــون المتـــدارك) (فَعْلن) بســـكون العين، بينما ينتقل الســـياق في الآيـــة الثانية إلى بحر المتقـــارب، أما الآية الثالثة فهي أقرب إلى النثر. فهذا التنوع العروضي في السورة الواحدة ينفي صفة الشـــعر عن القرآن الكريم ولكنه يُضفي حلّةً جميلةً على المعنى العام للســـورة ليظهره بأبهى شـــكل، وهو بإحساسٍ عارمٍ عن القصد الذي تريده هذه الســـورة القرآنية، وكذلك فإن هذا التنوع الموسيقي يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك واعية الإقبال في كلّ إنســـان وهذا يفوق في حسّـــه وجماله كل ما عُرِف من توقيع الموسيقى، وترنيم الشعر؛ لأن الموسيقى تتشـــابه أجراســـها، وتتقارب أنغامُها فلا يفتأ السمعُ أن يملّها والطبع أن يمجّها.

وكما لا يفوتنا أنْ نذكـــر أنّ هذا التركيب الموســـيقي للنـــص القرآني بإيقاعـــه ونغماته شديد الارتباط بتناســـق الإيقاعات بين كلمات الفقـــرة الواحدة في الآية، وكذلك اتجاهات المد في الكلمات ونهاية الفواصل، ورؤوس الآيات، وحروف الفاصلـــة القرآنيـــة، وكذلك مخارج الحروف في الكلمة الواحدة، حيث لها من الدلالة الصوتية والمعنوية في تصوير الحالة القرآنية المطلوبـــة دلالة واضحـــة، لأن للحرف العربي إيحـــاءً خاصاً، فهو إن لم يكـــن له دلالة قاطعة

على المعنى فإنه يدل دلالة اتجاه وإيحاء، ويثير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحي به.

إن اجتماع هذه الخصائص المتمثلة بالدلالة الصوتية والموسيقية والإيقاع الداخلي يمكن أن نتلمس منه المعنى الدقيق في الآية القرآنية بسبب التلاؤم والاتحاد بين هذه المفردات بتناسق فني رائع، فهي تصوير بالصوت والحركة الفعلية وتصوير بالنغم، ولا غرابة في ذلك لأنه القرآن الذي لا تُفنى عجائبه، ولا تُبلى غرائبه، وسورة (الكوثر) من عجائبه وغرائبه.

توصيف الدلالة الصوتية والموسيقية في السورة

١. الدلالة الصوتية:

يتوافر في حروف اللغة العربية من الدلالة الصوتية ما ليس لغيرها من حروف اللغات الأخرى، حيث أن للحرف العربي إيحاءً خاصاً يدلُّ دلالةً واضحةً باتجاه المعنى، أو أنه يوحي للسامع بشكل رقيق وهو يطرق باب الأذن الواعية على المراد من الآية القرآنية.

ولا شكَّ أنَّ استقلال أيّة كلمةٍ بحروف معينة يكسبها ذائقة سمعية قد تختلف عمّا سواها من الكلمات التي تؤدي نفس المعنى، مما يجعل كلمةً دون كلمة ـ وإن اتحدتا معنى ـ مؤثرة في النفس، وتجتمع في الدلالة الصوتية مؤثرات تتمثل في مخارج الحروف وموقع الحرف في الكلمة الواحدة والفاصلة القرآنية، وإليك تفاصيل ذلك في السورة المباركة.

(إنّا أعطيناك الكوثر)

(**إنّا**) فيها (الهمزة) هوائية، وهي تخرج من أقصى الحلق، حيث لا يوجد أي مانع داخل الحلق يعيقها مما يكسبها حالةً من السعة والانفتاح، وقد استعملت هنا لما يعطيه انضمامها إلى (النون) المضعَّفة والتي ينطبق فيها اللسان على مقدمة اللهاة من فخامةٍ وسعةٍ، ومن ثم تُردف بـ(الألف)، وهذه تُضفي عليها من السعة أكثر من قبل، فيحدث وقعاً مشحوناً بالعظمة والكبرياء.

(**أعطيناك**) صوت (العين) وهو من الأصوات المجهورة المرققة وله وقعٌ حادٌ على اذن السامع يصاحبه ترقيقٌ عال، وما أن تدخل العين على حروفٍ حتى تحسّنها، وهو مضموم إلى (الطاء) المهموس ثم (الياء) الهوائي.

إن هذه النقلة من حالة الوقع العالي المرقق إلى حالة الانطلاق السريع بسبب وجود (الياء) عبر مهموس وهو صوت (الطاء) يضفي على الكلمة شيئاً من السرعة والعمق حيال المعنى المطلوب إنجازه، وهو العطاء الإلهي.

(**الكوثر**) وهو الكثرة الكاثرة ولا تكون إلاّ لله تعالى، والكوثر على وزن (فَوْعل)، وإن وجود الواو في هذه الكلمة قد منحها زيادةً في مبناها، وبالتالي سعة في كثرتها وبانسيابية هادئة وبتوالي، وحيث أن (الكاف) حرفٌ مهموس جرى معه النَفسُ وسَهُل مخرجُهُ وإن انضمامه إلى (الواو) يضفي على الكلمة الحدّة، ومن ثم يأتي صوت (الثاء) وهو مهموس أيضاً،

ويليه (الراء) المرقق التكراري وهو بين الشدّة والرخاء.

فنرى تبادل المواقع في (الكوثر) بين حرف مهموس انفجاري (الكاف والثاء) وبين صوت مرقق يفيد السرعة والتكرار هو في (الواو والراء)، فهذه التركيبة الصوتية التي تجمع بين الانفجارية الصوتية والرقة المتكررة تضفي على اللفظة من السعة والانفجار ما لا يكون لغيرها.

(فصَلِّ لربِّك وانحر)

(**صلِّ**) اجتمع في هذه اللفظة صوت (الصاد) وهو من الحروف المهموسة وذات صفير حاد، وصوت (اللام) هو الآخر من الأصوات التي يجتمع صوته على الشدة والرخاوة، فنلاحظ هنا التقاء الصفير بحدته المعهودة مع الرخاوة، وهذا مما يوحي للسامع بوجود صلصلة خفيفة من نوعٍ ما في هذا الجو الروحاني المفعم بالحركة، وقد جاءت هذه اللفظة بهذا المستوى من السلاسة والإيقاع السهل لأنها جاءت تطلب عملا من الرسول ﷺ ألا وهو الصلاة.

(**انحر**) الحاء يعتبر من الأصوات الرخوة، تخرج من أقصى الحلق، ولذا نحسّ بمدى ضعفها ورخاوتها لأنها تستغرق نَفَساً أطول من الأصوات التي تليها في المخرج، وهي غالباً ما تُعبّر عن القلّة، وقد جاءت (الحاء) في كلمة (نضحَ) للماء القليل يخفّ أثره ولكن لو استبدل هذا الحرف بحرف (الخاء) فتصبح الكلمة (نَضَخَ) وهي أقوى أثراً وذلك لأن الخاء أوفى صوتاً من الحاء، حيث نرى غلظة (الخاء) ورقة (الحاء).

فيتبين لنا أن (الحاء) في (انحر) أنها تجتمع على القلة والضآلة في ما يخرج من نحر الجزور وهي الدماء، ولكن انضمامها إلى (الراء) وهو صوت تكراري ويجمع بين الشدة والرخاوة مما يزيد من كثرة النضح بفعل التكرار، وهذه الدلالة الصوتية لكلمة (انحر) تؤيد ما ذهب إليه علماء التفسير من أن المراد من الآية النحر وليس رفع اليدين إلى النحر كما قيل عند بعضهم.

(إنّ شانئَكَ هو الأبتَر)

(**الشنأ**) هو البغض والكراهية، ويتجلى ذلك في وجود صوت (الشين) المهموس فإنّ مخرجه من بين الأسنان، وقد انضمَّ إلى (النون) وهو من الأصوات التي يجتمع فيها الشدة والرخاوة وفيها غُنّة خارجة من الأنف، وهذا التركيب الصوتي يُضفي عليها الخسّة والانحدار.

(**الأبتر**) نلاحظ في هذه اللفظة اجتماع (الباء والتاء والراء) فالصوتان الأوليان يُعتبران من الأصوات الشديدة، وهذه الشدة تنطلق بسرعة أكبر عند انضمامها إلى صوت (الراء) المرقق التكراري، فتوحي لنا هذه التركيبة الصوتية إلى

الانقطاع السريع والضياع إلى الأبد.

٢. الدلالة الموسيقية:

إنّ الآي القرآني وحدةٌ متشابكة، فلا يمكن فصل وضع عن آخر، ومن ذلك فالموسيقى هي جزء مكمّل لهذا التعبير، وهي تُضفي عليه نوعاً من الفخامة من خلال الإيقاع الذي يصاحب هذا العطاء الهائل، فنرى في (إنّا أعطيناك الكوثر) أن التفعيلة العروضية لبحر المتدارك (فَعْلُنْ) بسكون العين، تكاد تنساق مع هذه الآية القرآنية انسياقاً واضحاً، وأن هذه التفعيلة فيها من الجلالة والهيبة والفخامة الشيء الكثير، حتى أنك تشعر من إيقاعها الحاد وما يصاحبه من رتابةٍ وسكونٍ، وتشعر أنك أمام شيء أو حادث عظيم لا يقوى أحدٌ الصمود أمامه.. نعم.. ـ إنه العطاء الإلهي ـ والذي جعل لهذه التفعيلة هذا الوقع العميق في النفس والذي تشرَئبّ له الاعناق، هو التوالي الثقيل بين المتحرك والساكن.

قال ابن سينا: (إن الانتقال إلى النغم الحاد يُحاكي شمائل الحرد، وإلى النغم الثقيلة يُحاكي شمائل الزكانة والحلم والاعتذار والانفعالات التي تُبنى على هبوط متدارك بالصعود الراجع يعطي النفس هيئة شريفة نبوية حكيمة مع شجن وتجلي، وضدها يعطى هيأة لذيذة تميل إلى الخفة مع شجنٍ أثبت) جوامع علم الموسيقى ص٧٥.

لذا نرى أن شعراء العربية القدماء لم يقولوا في هذا البحر شعراً، وحتى أن الخليل(رحمه الله) (ت ١٧٥هـ) لم يذكره ضمن البحور الشعرية، وأنّ في الشعر العربي من الغنائية ما يُبعدهُ عن مثل هذه التركيبة الموسيقية، وأنّ القرآن هو الوحيد الذي وظّف هذه التفعيلة في كلام الله تعالى، لأنه يعبر التعبير الدقيق عن مضمون الآية الكريمة وعن جلالة وعظمة العطاء الإلهي الذي لا يوازيه عطاء آخر، فكانت هذه التفعيلة التي تستنفر الأذهان عند سماعها وتشرأب لها الأعناق للتهيؤ لما سيؤول إليه من نتيجة، إذن فلابد أن تكون النتيجة عظيمة بمقدار عظمة الإيقاع الحاد.

كما وان سرعة هذه التفعيلة إنما تدل على استثمار أقل زمن ممكن، وبعدم تقاعس وتمهل لتقديم العطاء الإلهي.

لكن نرى حدوث تغيير كلي في نوع الموسيقى المصاحبة لهذه السورة في (فصلِّ لربِّك وانحر) فنرى فيها انتقالةً رائعةً في الجو العام للموسيقى، حيث أن فحوى هذه الآية هو الطلب، فكان لابد أن يكون هذا الانتقال، وكذلك فإن العطاء الإلهي السابق (الكوثر) قد أفرح الرسول محمدﷺ فكانت نفسه في منتهى الرضا والبهجة والسرور، وعليه فهنا ستكون الموسيقى المصاحبة لهذه الآية أكثر سباطة وسلاسة وسهولة فنرى أن تفعيلة بحر المتقارب (فعولن) قد صاحبت هذه الآية من أولها إلى آخرها.

يقول حازم القرطاجني في المنهاج ص٢٦٩ في مقام التفاعيل: (تجد للبسيط سباطة وطلاوة، وتجد للكامل جزالة وحسن إطراد، وللخفيف جزالة ورشاقة، وللمتقارب سباطة وسهولة) وقد جاءت هذه السهولة والبساطة

والسلاسة في هذه الآية القرآنية من زيادة عدد المتحركات فيها عن سابقتها، وهذا مما أكسبها هذه السلاسة والبساطة حتى أنّ النفس تكون أكثر استعداداً لتقبّل هذا الطلب الإلهي وبقوة لا يمكن أن ترْدَعها أي قوة أخرى، وأن هذه الموسيقى الناتجة عن هذه التفعيلة قد أغنت الآية الكريمة بهذا الثراء التعبيري لتلقي الأمر الإلهي.

وهذا ما يؤكده الدكتور صفاء خلوصي في كتابه (فن التقطيع الشعري والقافية ص١٨٥) في أن بحر المتقارب يصلح للعنف أكثر منه للرفق.

وبعد أن ينتهي هذا الطلب يبدأ عطاء آخر في (إنّ شانئك هو الأبتر) وهو في الحقيقة امتداد للعطاء الأول، أو هو المكافأة على تنفيذ الطلب الإلهي، فنرى في هذه الآية كثرة المتحركات عما كان في الآيتين السابقتين وقلة السواكن فيها وهذا يوضح مقدار السلاسة والبساطة والسهولة، وهي تكون أقرب إلى النثر، وفيها من المعالجة النفسية الرائعة للرسول محمد ﷺ من جراء الصدمة التي تعرض لها بأنه (أبتر).

إذن نستنتج مما سبق أن لا غنى للباحث من الاستعانة بهذه الدلالات في الكشف عن جماليات النص المقدس وبعض وجوه إعجازه، حيث الصورة الفنية التي يحتفظ بها النص القرآني تشكل فيها الدلالة الصوتية والموسيقية جانباً مهماً في إضاءة الكثير من جوانبه، ولم تقتصر هذه الدلالات على سورة الكوثر فقط، بل هناك سور أخرى تشترك معها في هذا الجانب، لكن سورة الكوثر كانت الأوضح من بين تلك السور والآيات القرآنية الكريمة ■

دولاب شعري

قمر التّمّ علي المرتضى
حبّه في الحشر ينجي من رهق
قهر الأعداء في صارمه
وسقى القوم كؤوساً من علق
قلع الباب وأردى مرحباً
بحسام أورث الأعدا أرق
قرأ التوراة والإنجيل والفرقان
طفلاً حين للأفق رمق

الخطيب السيد مهدي الأعرجي

حُبّ الحُسَينِ أجَنّني

شعر:
د. عبد الهادي الحكيم

جَفِّفِي أَدْمُعِي وَكُفِّي شُؤُوني وَاغْسِلِي السَّهْدَ وَالضَنَى عَنْ عُيُوني
وَأَحِيلِي نَارَ الفَواجِعِ بَرْداً وَسَلاماً عَلى فُؤادِي الحَزِينِ
أنثُري الوَرْدَ فَوْقَ جَبْهَتِي التّعْبى وَرُشِّي الطّيوبَ بَيْنَ الغُضُونِ
وَازْرَعِي الدّفءَ وَالمَحَبّةَ وَالبَسْمَةَ فَوْقَ اللّظَى وَفَوْقَ الشُجُونِ
طَرّزِي الدّرْبَ بِالرّيَاحِينِ وَالآسِ المُنَدَّى وَالفُلِّ وَالنَسْرِينِ
وَامْلَئِي لِي السِّلالَ بِالمنِّ وَالسّلْوَى كَفَانِي (وَالتّينِ وَالزّيْتونِ)
لا تَقُولِي مَاذا دَهاكَ؟ فَوَدّعْتُ دُمُوعَ الأَسَى وَشَجْوِ الأَنِينِ
وَتَعالَيْ نُفَضِّضُ السَّحَرَ الغَافِي بِعِشْقٍ مُعَتَّقٍ مَجْنُونِ
طَوّقِي الجِيدَ بِالجوَاهِرِ وَالمَاسِ وَشُقّي اليَاقُوتَ بِالتَلْحِينِ
بِالزَغَارِيدِ، بِالتّراتِيلِ، بِالهَمْسِ المُوَشَّى، بِغُنَّةِ التّنْوِينِ
انْثِري لِي حَرِيرَ شَعْرِكِ شَلّالاً مِنَ المِسْكِ مُفْعَماً بِالحَنِينِ
وَتَعالَيْ مَعِي لِيَشْرَبَ جَذْلى تَتَهادَيْنَ بَيْنَ حُورٍ وَعِينِ
لِعَلِيٍّ، لِفَاطِمٍ، لِأَخِيهِ الحَسَنِ السّبْطِ، بَلْ لِطٰه الأَمِينِ
لِبَنِيهِم مِنَ الأَئِمّةِ، لِلقائِمِ مُحْيِي الهُدَى وَحَامِي الدّينِ
لا تَقُولِي مَاذا دَهاكَ؟ تَعالَيْ خَلَعَ القَلْبُ كُلَّ حُزْنٍ دَفِينِ
وَدَعِينِي.. دَعِي الوُجومَ، فَهذا يَوْمُ مِيلادِ مَنْ أُحِبُّ.. دَعِينِي
جُنَّ قَيْسٌ وَالعاشِقُونَ بِلَيْلى وَبِحُبِّ الحُسَيْنِ جُنَّ جُنُونِي

الإمامة
في المفهوم القرآني

* السيد محمد القاضي
أستاذ في الحوزة العلمية

الأوضاع السياسية التي منيت بها أمة الإسلام من لحظات رحيل خاتم الرسل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، والى يوم الناس هذا، ومحاولة إضفاء الشرعية على سلطات الوقت الحاكمة، سبب ذلك في غياب كثير من مفاهيم الإسلام الأصيلة عن وعي الأمة، وتسمية الأشياء بغير أسمائها، وطرح المفاهيم بحالة من السطحية، وفقاً لما تمليه السياسة في تمشية أوضاعها، وفرض سيطرتها بالقوة والعنف على رقاب الناس.

ومن تلكم المفاهيم التي حاولت السياسة التعتيم على معناها تارة، وتسميتها بغير اسمها تارة أخرى، هو مفهوم (الإمام)، الذي حولته السياسة الى (القائد) و(المرشد) و(القدوة)، بعد أن كان القرآن الكريم قد أوضح مفهومه ـ في أكثر من آية ـ وحدد معالمه، بشكل يقل نظيره في الكتاب المجيد، مما يدلل على أهميته في نظره، بعيدا عن تلاعب الأهواء والعواطف.

وهذا ما نحاول أن نتلمّسه من القرآن الكريم في هذا البحث، ونستوحيه من آياته المباركات.

قال الله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). [سورة البقرة: ١٢٤] وأدنى تأمل في هذه الآية المباركة يفيدنا ان جعل الإمامة لإبراهيم عليه السلام كان بعد النبوة، وذلك من خلال النقاط التالية:

١ ـ أنه كان بعد الابتلاء والامتحان، ومن الواضح ان الابتلاء كان بعد النبوة، ومن جملته الابتلاء بذبح الولد كما قال تعالى (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ)[سورة الصافات: ١٠٦].

٢ ـ إن إبراهيم عليه السلام طلب الإمامة لذريته، وهذا لا يصح لمن كان آيساً منها، كما حكى القرآن الكريم عنه ذلك حين بشارته بالولد، فلابد أن يكون قد منح ذرية آنذاك ليطلب لهم الإمامة، ومن الواضح ان ذريته صارت بعد نبوته وشيخوخته.

٣ ـ إنه كان يتمتع بمخاطبة الملائكة والوحي، كما يشهد به هذا الحوار الذي ترسمه لنا الآية المباركة هذه، وهو من الدلائل أيضاً على نبوته آنذاك.

فإذا صح هذا الفهم من الآية الكريمة لا

يبقى لنا مجال للقول بأن (الإمامة) هي النبوة، بل هي مقام آخر أعلى من النبوة، كما انها ليست بمعنى: القدوة أو الرئاسة او الخلافة وما إلى ذلك، لأن جميع ما ذكر من المعاني موجود في النبوة، (ولا معنى لأن يقال لنبي من الأنبياء مفترض الطاعة: إني جاعلك للناس نبياً، أو مطاعاً فيما تبلغه من نبوتك، أو رئيساً تأمر وتنهى في الدين، أو وصياً، أو خليفة في الأرض تقضي بين الناس في مرافعاتهم بحكم الله!!!)[1]، فإن جميع هذه الأمور من لوازم النبوة وليست شيئاً طارئاً عليها، ومن هنا فلابد أن تكون الإمامة حقيقة وراء هذه الحقائق.

وأيضاً تفيدنا الآية الكريمة ان مقام الإمامة مقام إلهي، وعهد الله تعالى إلى أوليائه وأصفيائه، ولابد فيه من الجعل الإلهي، وليس بيد أي أحد من الناس، حتى الأنبياء، فقد سألها إبراهيم الخليل عليه السلام لذريته، ولم يستجب له إلا في مجموعة قليلة منهم، وهو قوله تعالى: (لا ينال عهدي الظالمين).

ومن هنا لابد من الرجوع مرة أخرى إلى القرآن الكريم لمعرفة مفهوم (الإمامة) من خلال آياته الكريمة، وبقدر ما يسعه فهمنا من إدراك الحقائق الإلهية.

قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [سورة السجدة:٢٤].

وقال تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) [سورة الأنبياء:٧٣].

والآيتان الكريمتان تتفقان على تعريف (الأئمة) أو توصيفهم بأنهم يهدون بأمر الله تعالى، وهذا يدعونا إلى التأمل في هذا التعريف أو التوصيف ليتسنى لنا رسم صورة ولو إجمالية، أو متسمة بنوع من الضبابية أحياناً، عن دور الإمام في حركة الكون لهذه النشأة الدنيا، وللنشأة الأخرى.

الإمام متصرف في النفوس تكويناً

١ ـ الهداية: معناها الدلالة، وهي تارة تكون من خلال إراءة الطريق بالتعليم والإرشاد والإنذار والتبشير، وهذا ما نشهده في حركة الأنبياء والرسل ووظيفتهم تجاه الناس، قال تعالى: (رُّسُلا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)[سورة النساء: ١٦٥]، وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) [سورة غافر: ٣٨].

وأخرى تكون الهداية والدلالة من خلال الإيصال إلى المطلوب مباشرة، وليست مجرد الإرشاد والتعليم الذي نسميه بإراءة الطريق.

والفرق بين الحالتين واضح، فإن إراءة الطريق وحدها لا تعطي الضمانة الكافية للوصول إلى المطلوب، فربما حاد الإنسان عنه قليلا، وانقطعت به السبل وتلاقفه الموج من كل مكان، وصار يزداد بعداً عن الجادة، ويزداد انحرافاً عن الطريق.

أما من يأخذ بيدك ويضعك على الطريق، ويخطو بك في كل خطوة، إلى أن يصل بك الى ساحل الأمن والسلامة، تكون ضمانة

الوصـــول حينئذٍ ضـــرورة، لأن الهادي أمين، والدليل عارف.

ونتيجة لذلك تكـــون الهداية بهذا المعنى مـــن خـــلال التصـــرف الباطني فـــي النفوس، وليســـت عملا خارجياً كما فـــي الحالة الأولى حيث الإنذار والتبشـــير، ولعله إلـــى هذا النوع من الهداية يشـــير قوله تعالى: (فَمَـــن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْـــرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْـــلاَمِ ...)[سورة الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَـــنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَـــاء) [ســـورة الزمر: ٢٣]، فانشراح الصدر وليونة الجلود والقلـــوب كلها من التصـــرف الباطني بالنفوس.

فهذا النوع من الهدايـــة إذاً (نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي الى موقف آخر)[٢].

ولعله إلى هذا يشير قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَـــدُوا فِينَـــا لَنَهْدِيَنَّهُـــمْ سُـــبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [سورة العنكبوت:٦٩]

ومن خلال الآية السابقة في جعل الإمامة لإبراهيم عليه السلام، يتضح لنا أن الهداية هنا ليســـت بالمعنى الأول من الإنذار والتبشـــير، لأن تلكم كانت وظيفة النبوة، وقـــد كان إبراهيم الخليل عليه السلام يؤديها ـ بلا شـــك ـ قبل إمامته. فلابد ان هدايته للناس بعد إمامته من النوع الثاني الذي يستتبع تصرفاً تكوينياً في النفوس.

الأمر الإلهي هو الوجه الآخر للأشياء

٢ ـ (بأمرنـــا) الأمـــر تارة يأتـــي بمعنى الطلب وجمعه (أوامر)، وهو المعبر عنه بالأمر التشـــريعي، والذي يتضمن الأوامر الإلهية في الأحكام، من الوجوب، والحرمة، والاستحباب، والكراهة، والإباحة.

وأخرى يأتـــي بمعنى (الشـــأن) وجمعه أمور، إلا أنه فـــي القرآن الكريم كثيراً ما يأتي منسوباً الى الله تعالى، كما في الآيتين المباركين ـ موردتا البحـــث ـ (يهدون بأمرنا)، وقوله عز اســـمه: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) [ســـورة الشورى: ٥٢]، وقوله: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْـــرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِـــلِينَ) [ســـورة الدخـــان: ٤-٥] ، وكثير غيرها، وهذا مما يســـتوقفنا ملياً لاستيحاء المراد من (الأمر الإلهي) من خلال التأمل في آيات القرآن الكريم، ومن باب (ان القرآن يفسر بعضه بعضاً).

من بديهيات الإيمان بالله تعالى ان الأشياء الكونية كلها مســـتندة في وجودها وبقائها إليه

سبحانه وتعالى، ومن المستحيل عقلا انفكاكها عنه تعالى، ولولا انه سبحانه يفيض عليها الوجود آناً بعد آن لما بقي شيء في الوجود، وهذا من الوضوح مما لا يحتاج معه الى الدليل والبرهان.

وفي الوقت ذاته نجدها خاضعة لنظام السببية الكونية، والأسباب الخارجية الطبيعية، فهي كما تستند في وجودها وبقائها الى الله تعالى تستند فيهما أيضاً إلى أسبابها الكونية الطبيعية التي خلقها الله تعالى فيها.

ومن هنا يمكننا القول: بأن لجميع الأشياء، جهتان في الوجود: جهة استنادها وانتسابها وارتباطها بالله تعالى، وتعلقها به، وقيامها به قياماً وجودياً، وفقرها إليه فقراً تاماً، وهذه الجهة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتلبس بالتدرج، بل هي بجميع وجودها تابعة لله سبحانه غير مستقلة ولا مستغنية عنه، فهي ملكه وبيده وفي خزائنه، وهذا ما يعبر عنه بالوجود العيني.

والجهة الثانية للأشياء: هي وجودها المادي، المستند الى الأسباب الطبيعية التي أوجدها الله تعالى، وهي الجهة المنتسبة لنا، وهي جهة زائلة فانية مصحوبة بالزمان والمكان والحركة، معرضة للنقصان والزوال.

وإلى هاتين الجهتين أشار الكتاب العزيز بقوله تعالى: (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ) [سورة النحل: ٩٦]، وقال تعالى: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) [سورة الحجر: ٢١] ، فإنهما تفيدان تعدد الجهات في انتساب الأشياء، فإن جميع المخلوقات (بدلالة الاستثناء في سياق النفي) باقية عند الله تعالى موجودة في خزائنه عزَّ اسمه، ثابتة لا تزول، ولا تنفد ، ولا تتغير، إلا ان الله تعالى ينزلها مقدرة بمقادير معلومة، ومحدودة بحدود خاصة، قابلة للتغير والفناء.

فالأشياء في الجهة الأولى غير خاضعة لنظام الأسباب والمسببات الكونية، بل وجودها قائم بإرادة الله تعالى فحسب، بخلافها في الجهة الثانية فإنها خاضعة لنظام الأسباب والمسببات الكونية، فلا يمكنها أن توجد دفعة واحدة، بل لابد لها من الجريان في نظام الأسباب الكونية، كل بحسبه، من الإنسان إلى الشجر وإلى المعدن وما لا يحصى كثرة من مخلوقاته جل شأنه.

وهذه الجهة هي التي يسميها القرآن الكريم بـ(الخلق) و(الملك)، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ...)[سورة غافر: ٦٧]، وقال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) [سورة ق: ٣٨]، والآيات المباركة كثيرة في ذلك.

بينما تسمى الجهة الأولى المنتسبة إلى الله تعالى وحده بـ(الأمر) و(الملكوت) في آيات كثيرة، قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [سورة يس: ٨٢ ـ ٨٣]، وصريح الآية ان ملكوت الأشياء هو نفس الأمر الإلهي، وان الأمر هو قوله عز اسمه للشيء إذا أراده (كن فيكون)، وهو كناية عن إفاضته الوجود على الشيء من غير حاجة الى

شـــيء آخر وراء ذاته العلية، ومن غير تخلف ولا مهلة ولا تدرج.

ومن الواضح انه ليـــس في (كن فيكون) قـــول لفظي من ذات الله ســـبحانه وتعالى، لأن القـــول يحتاج أيضـــاً إلى إيجـــاد، وهو أيضاً محتاج إلى القول مرة أخرى فيتسلســـل إلى ما لا نهايـــة له.. مضافاً إلـــى ان القول يحتاج إلى مخاطب ســـامع، والشـــيء قبل وجوده عدم لا يصح مخاطبته، وبعده تحصيل للحاصل.

وقال تعالى ـ أيضاً ـ: (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) [ســـورة القمر: ٥٠]، وهذه الآية الكريمة من خلال التشـــبيه فيهـــا بلمح البصر توضح لنا معنـــى الأمر الإلهـــي، وأنه مضافا إلى كونه (واحدة)، غير قابل للتخلف، فإنه غير متدرج ولا يعتريه نظام الأســـباب الكونية ولا الزمان والمكان.

قال الطباطبائي في الميزان: «وبه يعلم أن في الأشياء المكونة تدريجاً، الحاصلة بتوسط الأسباب الكونية المنطبقة على الزمان والمكان، جهةً معـــراة عن التدريج، خارجـــة عن حيطة الزمان والمـــكان، هي من تلـــك الجهة (أمره) و(قوله) و(كلمته).

وأما الجهة التي هي بها تدريجية، مرتبطة بالأسباب الكونية، منطبقة على الزمان والمكان، فهـــي بها من الخلق، قال تعالـــى: (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) الأعراف: ٥٤، فالأمر هو وجود الشيء من جهة استناده إليه تعالى وحده، والخلق هو ذلك من جهة استناده إليه مع توسط الأسباب الكونية فيه.

ويســـتفاد ذلك أيضاً من قوله: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) الآية، حيث ذكر أولا خلق آدم، وذكر تعلقه بالتراب، وهو من الأسباب، ثم ذكر وجوده ولم يعلقه بشيء إلا بقوله: (كن)»[٣].

والحاصـــل: ان الأمر الإلهـــي عبارة عن استناد الأشياء إلى الله تعالى من دون واسطة، وهو ملكوت الأشياء، فنســـبة الأمر إليه تعالى تعني تلكم الجهة الخالية من الوسائط، والتي لا يتدرج الإيجاد فيها، ولا يتخلف.

وبعد هذه الوقفة نعود إلى الآية الكريمة: (يهـــدون بأمرنا) هـــل المراد به التشـــريعي، المتضمن للأحكام الشـــرعية، او الأمر الإلهي الملكوتي الذي هو (كن فيكون)؟

ولكـــن إذا قبلنا أن الهداية التي هي للأئمة ليست بمعنى الإرشاد والإنذار الذي هو وظيفة الأنبياء، وأنها نـــوع تصرف في النفوس، فلابد لنـــا من الإذعان بـــأن (الأمر) أيضـــاً ليس هو التشـــريعي، لأن إبلاغ الأوامر التشـــريعية من وظيفة الأنبياء، لأنهم مبشـــرين ومنذرين، بل هو الأمر الملكوتي الإلهي.

وأمـــا (الباء) فـــي قوله تعالـــى: (يهدون بأمرنـــا) فإنها للســـببية أو الآلة، مثـــل قولنا: فرحت بمجيئك، أي: فرحي بســـببه، أو قولنا: كتبت بالقلم، ويكون معنى الآية الكريمة حينئذٍ: يهدون بسبب أو بواسطة أمرنا.

وأعود لأجمع أطراف الحديث مرة أخرى، فأقول ملخصاً: نتيجة لما ســـبق من تفســـير الهداية والأمر، وبقرينـــة (الباء)، تفيدنا الآيتين المباركتين أن الإمام يهـــدي الناس بإيصالهم الى المطلـــوب، والأخذ بأيديهـــم ليرتفعوا من

مقام معنوي إلى آخر ـ كل بحسب استعداده ـ بواسطة الأمر الإلهي الملكوتي الذي هو الوجه الباطن للأشياء.

فكما أن الأنبياء يهدون الناس بإراءتهم الطريق من خلال العقيدة الحقة وأحكام الشريعة، والأعمال الصالحة، فكذلك الإمام يهديهم بإيصالهم إلى المراتب العالية حيث الشهداء والصديقين والأولياء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، كل بحسب استعداده وقابليته، كما قال تعالى: (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) [سورة الرعد: ١٧] ، وقال عز اسمه: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [سورة فاطر: ١٠]، فإن الارتفاع في الإنسان إلى مراتب الكمال، وإن كانت ولايته بيد الإمام، إلا أنه متوقف على الاستعداد ، وهو متوقف على العمل، وقد أكد ذلك القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وتختلف كل واحدة من الهدايتين عن أختها، فالأولى ظاهرية ترتبط بالعمل والاعتقاد، بينما الأخرى باطنية ترتبط بالنفوس مباشرة وترفعها في مقاماتها.

وإذا صح هذا الفهم فإنه يفتح لنا آفاقاً جديدة في بحوث الإمامة، أحاول الإشارة إلى بعض منها بقدر ما يسعه البحث:

مرتبة يقين المطلع على (الأمر)

١ ـ إذا كان الأمر الإلهي هو الوجه الآخر للأشياء، وهو الوجه الباطني لها، وكونها منتسبة إلى الله تعالى ومستندة إليه في كل وجودها وتمام فقرها، فمن البديهي أن يكون المطلع عليه ذا يقين خاص بالربوبية والألوهية لله سبحانه وتعالى، يقين لا يشوبه أدنى شك، وكيف لا؟! وهو يشاهد الكون كله ـ بأسبابه ومسبباته ـ فقيراً إلى الله تعالى، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وحياةً، ولا موتاً، ولا نشوراً، فيصبح موقناً بأن لا إله إلا الله، ولا رب غيره، ولا معبود سواه.

وهذا ما حصل بالفعل لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام على ما حكاه القرآن الكريم عنه بقوله: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) [سورة الأنعام: ٧٥]، وهي تفيدنا بوضوح ان رؤية الملكوت كانت السبب في حصول اليقين لنبي الله عليه السلام.

وهذا القرآن الكريم يدعو الناس كافة إلى التأمل في الملكوت ليحصل لهم اليقين التام بالألوهية والربوبية لله تعالى، كما في قوله: (أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ...)[سورة الأعراف: ١٨٥].

ومن الملاحظ أيضاً أن وجود اليقين ـ مضافا الى الصبر ـ شرط في إمامة الإمام، كما صرحت به الآية المباركة ـ مورد البحث ـ (لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)، وأظن ان القارئ ـ من خلال البحث ـ سيوافقني إذا قلت له: أن الإمام لابد أن يكون قد انكشف له الملكوت، بل هو مصاحب له، لأنه السبب في هداية الناس، فهو يتمتع بأعلى مراتب يقين، وأقصى درجاته.

ولا يعجب القاريء حينئذٍ إذا تلوت عليه ما جاء في الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام

في تفسير الآية المباركة في رؤية إبراهيم عليه السلام للملكوت بما يتناسب وذهن مخاطبه، فقال: «كشط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمد صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وإني لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك»[٤].

فالإمام يشهد من خلال الملكوت من جلال ربه وكبريائه وعظمته وكماله ، ما لا حدَّ له من الجلال والكمال والعظمة والكبرياء والآلاء ما يدفعه ليقول من أعماقه مناجياً ربَّه: (بك عرفتك.. وأنت دللتني عليك)، أو يقول: (سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)، أو يوصي ولده فيقول له: (ولا تخرجنَّ نفسك عن حد التقصير في عبادة الله عزوجل وطاعته، فإن الله لا يعبد حق عبادته)[٥].

المطلع على (الأمر) مهتد بالذات

٢ ـ إذا كان الإمام يهدي بالأمر الإلهي فلابد أن يكون هو مهتد بالذات، بحيث لا يحتاج إلى أحد يهديه، وقديماً قيل: فاقد الشيء لا يعطيه، بل كما قال تعالى: (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)[سورة يونس: ٣٥]، فلا يكون في زمانه إمام غيره، ولا من هو أفضل منه في العلم والفكر والسلوك والأخلاق.

تمتع الإمام بتمام اليقظة والالتفات

٣ ـ إذا كان الإمام قد انكشف له الملكوت وبيده هداية الناس بواسطة الأمر الإلهي، فمن البديهي أن يكون هو متمتعاً بأعلى درجات اليقظة والالتفات، بحيث لا يتصور في حقه الغفلة، ولا النسيان، ولا السهو، فضلا عن المعصية، لأنها بأجمعها قد تؤدي إلى الضلال المضاد للهداية.

أما المعصية فواضح كونها من الضلال، وأما السهو والنسيان والغفلة فهن كذلك، لأن الذي يصح أن يسهو فبالإمكان أن يسهو في الفكر، ويسهو في السلوك، ويسهو في هداية الناس، ويضع الأشياء في غير مواضعها سهواً وغفلة ونسياناً.

٤ ـ الإمامة والنبوة قد تجتمعان كما في إبراهيم وبنيه عليهم السلام ، وقد تفترقان فيكون النبي ليس بإمام كما صرحت نصوص أهل البيت عليهم السلام بالنسبة إلى نبي الله (لوط)، فإنه كان نبياً وعليه إمام هو إبراهيم، وقد يكون الإمام وليس نبياً كما في الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الذين هم عدل القرآن بنص رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، فإنهم أئمة وليسوا بأنبياء، فإن النبوة قد ختمت برسول الله صلى الله عليه وآله.

وبهذا نكون قد عرفنا ان للإمام دور مهم في حركة الناس لا يمكن التخلي عنه، لأنه الرابط بين الناس وبين ربهم، فكما أن الأنبياء روابط بين الله تعالى وبين الناس في حركتهم الظاهرية، يتلقون شريعة السماء بواسطة الوحي، ويقومون بدورهم في نشرها بين الناس وتعليمهم وإرشادهم وتهذيب نفوسهم، ويكونون القدوة العملية لجميع الأمة على مستوى الفكر والأخلاق والسلوك.

كذلك الأئمة روابط بين الله تعالى وبين

الناس في حركتهم الباطنية، فهم يتلقون الفيض الإلهي ويقومون بدورهم في نشره بهداية النفوس إلى مقاماتها، فهم الوسائط في تلقي الناس للفيض الإلهي.

وبهذا نحصل على التفسير الواضح للنصوص الكثيرة التي تؤكد على ضرورة وجود الإمام في الأرض، وأنه لو رفع الإمام لساخت الأرض بأهلها[٦].

ولعل منه قوله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت أتاها ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي ما كنت، فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون».

وعلق عليه الحاكم النيسابوري بقوله:صحيح الاسناد ولم يخرجاه[٧].

ومن البديهي أيضاً أن يكون الإمام مطلعاً على أعمال العباد، ليهيمن على مقاماتهم المعنوية، واستعداداتهم النفسية، وهو ما يؤكده قوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، [سورة التوبة: ١٠٥]، وبقرينة قوله: (وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ) نعرف أن رؤية الرسول والمؤمنون ـ الذينهم الأئمة بلا شك ـ للأعمال إنما هو في هذه النشأة ، نشأة الدنيا، لا في الآخرة، كما هو واضح.

فلا نستكثر ما ورد في نصوص أهل البيت عليهم السلام من أن الأعمال تعرض على رسول الله ﷺ وعلى إمام العصر كل يوم أو في أسبوع مرة أو مرتين او أكثر من ذلك على اختلاف في النصوص.

وفي موثق سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:«ما لكم تسوؤن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ ! فقال رجل: كيف نسوؤه ؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه ، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك ، فلا تسوؤا رسول الله وسروه»[٨].

وعن عبد الله بن أبان الزيات ـ وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام ـ قال : قلت للرضا عليه السلام : ادع الله لي ولأهل بيتي فقال : أو لست أفعل؟! والله إن أعمالكم لتعرض عليَّ في كل يوم وليلة .

قال : فاستعظمت ، فقال لي : أما تقرء كتاب الله عز وجل : (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)؟! قال : هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام[٩].

مسك الختام:

اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني■

الهوامش

(١) الميزان ١ : ٢٧١.
(٢) الميزان ١٤ : ٣٠٤.
(٣) الميزان ١٣ : ١٩٧
(٤) بصائر الدرجات : ١٠٧
(٥) الكافي ٢: ٧٢
(٦) انظر: بحار الأنوار ٢٣: ١ وما بعدها.
(٧) المستدرك على الصحيحين ٢: ٤٤٨.
(٨ ـ ٩) الكافي ١: ٢١٩.

نوافذ طبية أخلاقية

مرض الإيدز

* الدكتور نبيل عباس عبدعلي
FRCP (Ed) (Glasg)

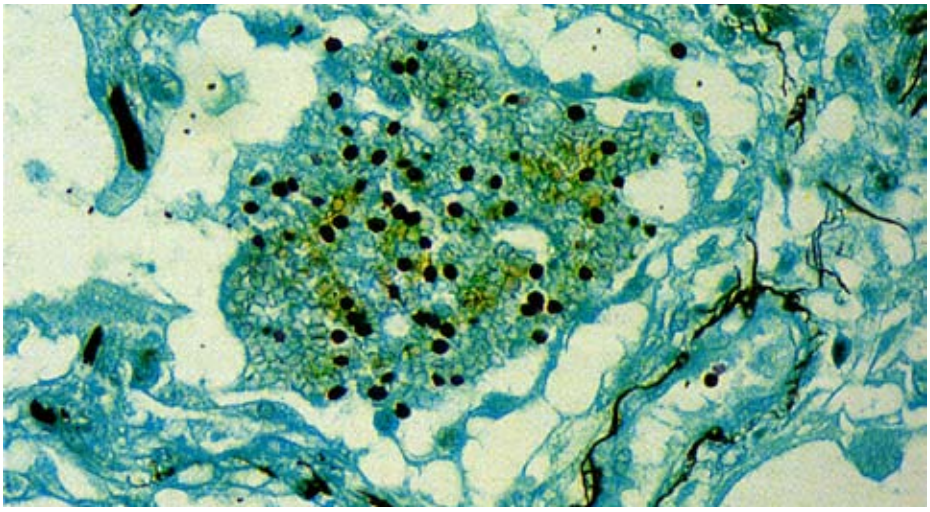

ينابيع

لقد اخترعت الكتابة في موضوع الايدز، ذلك إن متلازمة العوز المناعي شكلت أهم حدث طبي في حياتنا المعاصرة، فقد قيل عنها إنها الجائحة التي لا تعرف حدوداً مكانية أو زمانية ولها امتداد افقي وعمودي، كما لا يوجد علاج شاف ولا لقاح واق لها، وان توفر العلاج فهو إطالة قصيرة للأعمار، وحتى هذا العلاج فهو يحتاج إلى اقتصاد قادر على توفيره.

كما وان الآيدز:

١. يوفر انموذجاً ايضاحياً جيداً في المسائل الأخلاقية، فلقد ظهر وتأكد إن التمسك ولو بأهداب التعاليم الإسلامية فانه يكفي لسد المنافذ التي قد يدخل منها هذا الوباء المدمر لحياة الفرد والمجتمع معاً، وهكذا تتحقق المقولة التي ندعو لها ونعتز بتبنيها ألا وهي إن الطب الملتزم لا يقل أهمية عن وفرة الدواء أو توفر الأجهزة المتطورة.

٢. لم يعد موضوع الأخلاقيات الطبية موضوعاً تكميلياً، بل أصبح ضرورياً واذا كان الغرب يرى أن الأخلاقيات هي المواضيع التي يحتاج فيها إلى رأى جمعي أكثر منه فردي، فنحن ننظر إلى الأخلاقيات الطبية كتطابق أو قرب أو حتى اهتداء بالتعاليم الدينية، فهي التي تحدد الرفض أو القبول (الحلية والحرمة)، وسأحرص (وحسب إمكانيتي المتواضعة) فيما سأعرض أن أشير إلى أقوال الأئمة المعصومين إضافة إلى الاعتماد على مدارك التشريع وهي الكتاب المجيد والسنة الشريفة.

٣. إن إبراز الدور الديني في المسائل والمواضيع المستحدثة يعتبر إسهاماً أو دليل حيوية على قدرة ديننا الحنيف على استيعاب تشابكات الحضارة الحديثة وبكل تعقيداتها.

سأكتب في هذا الموضوع بشكل نوافذ أخلاقية إيمانية تطل على مرض الايدز، والنافذة لا تطل إلا على مساحة محددة، وموضوعنا في واقعه مترامي الأبعاد ولذا ستتعدد الإطلالات. مع الحرص أن تكون أطر هذه النوافذ أطراً أخلاقية وإيمانية. كما وان الظروف الجديدة التي يمر بها بلدنا تدعو إلى الزيادة في الحيطة من هذا المرض الفتاك، فمنظور المحتل ومنظورنا إلى الأخلاق فيه الكثير من الاختلاف كما وان الأخلاق قد تخسر معاركها مع العدو الشرس (الشيطان) والطامع والباغي والمحتل. وبالتالي فان ما سنطرحه يهدف إلى زيادة الوعي عند عامة الناس.

مقدمة لابد منها

الايدز (العوز المناعي) مرض يؤدي إلى تلف الجهاز المناعي، وبالتالي يصبح المريض عرضةً للالتهابات المتكررة وحتى لبعض الأورام أحياناً. فبعد أن يدخل فيروس الايدز إلى الجسم تمر فترة طويلة قد تتجاوز العشر سنوات دونما أية أعراض تلاحظ على المصاب، وهنا تكمن إحدى المشاكل الرئيسية والمهمة، فحامل الفيروس الذي لا يشكو من أية أعراض هو في نفس الوقت مصدر العدوى للآخرين.

الايدز مرض يسببه فيروس العوز المناعي البشري (HIV) وكلمة ايدز (AIDS) هي الحروف الاولى للكلمات الأربعة (متلازمة العوز المناعي المكتسبة) Acquired Immune Deficiency Syndrome) ورغم عزل الفيروس من أنسجة وسوائل جسم المصاب المختلفة كالدم والمني والافرازات المهبلية والحليب والدمع واللعباب، إلا إن الدراسات الوبائية أوضحت ان سبب العدوى هو الدم

ولمني وإفرازات عنق الرحم والمهبل.

أما المظاهـــر المرضية للمرض فتضم تلك الناتجة من الأمـــراض الانتهازية التي تصيب ضعيـــف المناعة، إضافة لما يســـببه الفيروس مباشـــرة. يكون مســـار العدوى بالمراحـــل أدناه، ولا يتحتـــم أن تتوالى بالتسلســـل المدرج عند الجميع، وهذه المراحل هي:

١. مرحلة المرض الحاد.
٢. مرحلة الكمون.
٣. تضخـــم الغـــدد اللمفاويـــة المنتشر والمستديم.
٤. المتلازمة المرتبطة بالايدز.
٥. مرحلة الايدز.

فمرحلة المـــرض الحاد هي التي تحصل عقـــب العدوى بمـــدة قصيرة (أســـبوعين) حيث تظهر مظاهر عامة مثل الحمى والتوعك والصداع، شأنها شـــأن أي مرض فايروسي آخر، وقد يظهر طفح جلدي على جسم المصاب. ثم تختفي هذه الأعراض بعد عدة أيام، وتعود صحة المريض إلـــى طبيعتها، وفي هـــذه المرحلـــة يكـــون الفحص المختبري لإكتشـــاف

الأضـــداد ســـلبياً حيث يتـــم التحول المصلي عـــادة بعد فتـــرة تتراوح من (٦-١٢) اســـبوعاً، وفي حالة الاشتباه بتعرض الشـــخص للعدوى يطلب منه إجـــراء الفحص بعد ثلاثة شـــهور من الوقـــت المتوقع للإصابـــة (ولذا يطلب من المسافر العائد من خارج القطر بعد زيارة قصيرة تأجيل الفحص إلى وقت لاحق). أما عن طور الكمون فرغم عدم وجود أعراض فـــي هذه المرحلة، لكن تكاثر الفيروس مســـتمر والنتيجة هي المزيد من التلف فـــي الخلايا المناعية، أما مرحلة التضخم الغددي، فتتضخم الغدد اللمفاوية فـــي أكثر من موضع، وتبقى متضخمة لشـــهور، ثم تتراجع إلـــى حجمها الطبيعي، أمـــا المرحلة ما قبـــل الايـــدز، ففيها تصـــل الحالة إلى الصورة التي تشـــمل واحـــداً أو أكثر مـــن المظاهـــر التالية كنقـــص الوزن والخمـــول، والإنهاك وفقدان الشـــهية أو الإســـهال والحمى، والتعرق الليلي والصداع والســـعال. وهـــذه الأعراض والعلامات كثيراً ما تكون متقطعة (أي غير مســـتمرة) وهي شبيهة بأعراض الايدز لكنها اقل شـــدة، وكثيرون منهم يصابـــون بآفات جلدية كـــداء النطاق (Herpes Zoster) والتهـــاب الجلـــد الدهنـــي والاصابـــة بفيـــروس الحلأ (Herpes Simplex) والطلوان الأشعر باللســـان (Hairy Leukoplakia). أما الايدز فهـــو المرحلـــة النهائية في المرض والتي تنتهـــي بالوفاة، وتظهر علـــى المرضى نفس علامـــات مرحلة

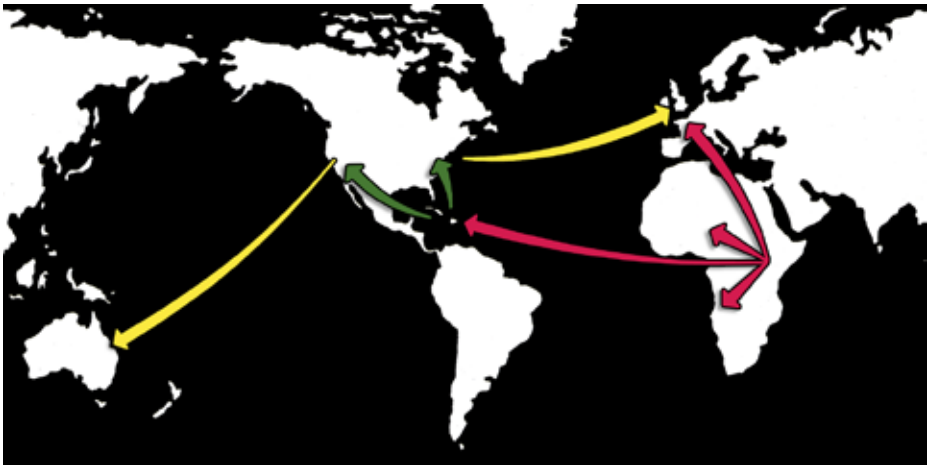

مخطط يوضح مصدر انتشار الفيروس إلى كل أنحاء العالم

ما قبل الايدز ولكن بشكل أشد مع تميز الصورة المرضية بوجود أمراض انتهازية في الجهاز الهضمي أو التنفسي أو حصول بعض الأورام نتيجة لنقص المناعة.

النافذة رقم (١)

مصدر الفيروس

وباء الايدز وباء حديث، فلقد سجل للمرة الاولى عام ١٩٨١ في أمريكا ثم في أوربا، وهناك احتمال كبير في أن يكون المرض موجوداً في أفريقيا قبل التعرف عليه بشكله الوبائي الحالي حيث يشار إلى وجود مرض يسمى (مرض الهزال) (Slim Disease) غير معروف السبب، ويصاب صاحبه بالهزال الشديد قبل أن يؤدي إلى الوفاة علماً إن هذه الملاحظة (نقص وزن المريض) هي من ثوابت الملاحظات الطبية على مرضى العوز المناعي، ونعطيها اهتماماً ضمن جداول الفحص الدوري الذي نجريه شهرياً على مرضانا في مراكزنا العلاجية.

من أين جاء هذا المرض؟

وكعادة العقل البشري في البحث عن مسببات لكل حدث، واحتمالات لكل مشكلة، فبعض قال إن الفيروس هو نتاج معامل التسلح البايولوجي، وتحديداً فقد اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية بذلك، أما الرأي العلمي الراجح في هذا الموضوع فهو أنه لم نتمكن وقد لا نتمكن في أي وقت قادم قريب من التحقق تماماً عن مصدر الايدز، وأقرب الاحتمالات إلى الرؤيا العلمية بشأن مصدره هو ان فيروس

العوز المناعي البشـــري كائن ممرض جديد بالنسبة للجنس البشري، وربما قــد نتج عــن فيــروس قهقــري غير ممرض (Retrovirus) من فيروسات الرئيســات (Primates) غير البشرية، ثم ارتقى هذا الفيروس من فيروســات القرود إلى فيروسات الآدميين، وتوجد بينات علمية تؤكد ان الكثير من القرود الأفريقيــة كانت مصابة بفيروســات قهقرية مشابهة لفيروس العوز المناعي البشري منذ آلاف السنين، غير ان هذه الفيروسات لم تحدث أمراضاً في تلك الحيوانات، وتســمى هذه الفيروسات بفيروســات العــوز المناعــي القردي (SIV)، ولهــذه الفيروســات مجين[1] (Genome) يماثــل تركيــب مجيــن فيروس العوز المناعي البشري بنسبة ٥٠٪ ويصيب اللمفاويــات التائية عن طريق مستقبلات[2] (CD4) المتواجدة على سطح الخلايا اللمفاوية تماماً كما يفعل فيروس العوز المناعي البشري، وبهذا فان (SIV) هو الســلف و(HIV) هو الخلف وقد نتــج ذلك إما طفرةً أو تأشباً (Recombination).

وربما كان الإنســان قد تعرض لهــذه الفيروســات عن طريــق صيد القرود وذبحها، حيث يحتمل أن يكون دم القــرود الملوثــة بفيــروس العوز المناعي القردي قد أصاب الإنسان من خلال جروح أو خدوش في يديه، وقد تمكن هذا الفيروس القردي أن يترعرع في جسم الإنسان القريب الصلة بأنواع الرئيسات العليا.

وربمــا حدث تطــور الأنواع هذا على مدى مئات السنين، ولكن العدوى بفيروس العوز المناعي البشــري وما يعقبها من أمراض (الايدز) ظلت تحدث علــى نوبات، وبســبب أنمــاط الحياة الريفية وقصر أعمــار الناس، وانعدام الإباحية الجنسية بين الأفارقة في ذلك الوقت لم تنتشــر العــدوى كثيراً إلى الآخريــن وظلت منحصــرة في القرى وقــد تظافرت عــدة عوامــل لتحويل طبيعة العدوى مــن نوبات متفرقة إلى أبعاد وبائية ثم إلى جائحة عالمية ومن هذه العوامل انتشار الإباحية الجنسية، وهجرة أهــل الريف إلى المدن، وتوفر الطرق الموصلة.

ولكن لمــاذا ظهــرت الإصابات فــي أميــركا اولاً ثم فــي أوربا وبعد ذلك في أفريقيــا؟ والجواب هو انه قد تم اكتشــاف حالات للايدز في أفريقيا جنــوب الصحــراء في نفــس الوقت (١٩٨١) الذي اكتشــفت فيــه الحالات الأمريكية والأوربيــة، أي ان الجائحة الحاليــة قد تكــون بدأت فــي أفريقيا وامتدت إلــى الولايات المتحدة وأوربا فــي آن واحد. فمن المؤكــد ان الكثير من أهل (هاييتي) كانوا يعيشــون في زائيــر، كما أن الوبــاء قد وصل أوربا

عن طريق السياح العائدين من أفريقيا، وفي أقل من عشرة سنوات انتشرت عدوى الايدز إلى أكثر مناطق العالم شاملة الهند والصين وجنوب شرق آسيا حيث يتفاقم الوباء الآن بأبعاد تتجاوز حدود السيطرة.

ولا يستغرب القارئ الكريم إذا قلنا إنه ـ وحتى يومنا هذا وفي آخر المؤتمرات العلمية السنوية العالمية التي تعنى بشؤون الايدز ـ هناك اختلاف يصل إلى مستوى التشكيك بمسبب المرض الحقيقي.

وبعد أن اطلعنا على خلاصة للرأي العلمي فهل يمكن ان نقول إن هذا الوباء هو ابتلاء رباني خاصةً في غياب المعلومات القطعية عن مصدره؟ وهل يمكن أن تكون الأمراض والأوبئة عقاباً من الله جل وعلا لعباده العاصين؟ وما هي استدلالاتنا من القرآن الكريم؟

نعم من الممكن أن يكون الأمر كذلك فقد ورد في التحذير من الظلم والعصيان بانهما تستوجب نزول البلايا والمصائب.

قال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير...) (الشورى الآية ٣٠) وما يعفو الله اكثر مما يؤاخذ به.

وقال تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الاسراء الآية ١٦).

وقال تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (الروم الآية ٤١).

ويقول السيد الطباطبائي (قدس سره) في تفسير الميزان (مجلد ١٦) في تفسير الآية أعلاه إن هذه الآية بظاهر لفظها عامة، لا تختص بزمان أو مكان أو بواقعة خاصة، والمراد بالبر والبحر سطح الكرة الأرضية والمراد بالفساد الظاهر، المصائب والبلايا الظاهرة فيهما والشاملة لمنطقة من مناطق الأرض كالزلازل والأمراض السارية والحروب وفقدان الأمن وكل ما هو مخل بطيب العيش... وقوله تعالى: (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب أعمالهم التي يعملونها من شرك أو معصية.

كما أن العكس من هذا قد تقدم في سورة الأعراف آية ٩٦ (ولو أن أهل القرى آمنوا، واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض).

وجاء أيضاً في مباحث النبوة (المجلد الثاني) إن بين أعمال الناس والحوادث الكونية واسطة مستقيمة تتأثر إحداهما من صلاح الأخرى وفسادها.

وفي نفس المعنى يقول الإمام الصادق(ع): (أما فانه ليس من عرق

شكل هرمي يمثل مجموع المصابين لفيروس العوز المناعي البشري، ويمثل اللون الأزرق مرحلة الكمون السريري وهم الغالبية، أما الجزء الأحمر الصغير يمثل المرضى الذين وصلوا مرحلة الإيدز وهم حالياً بحدود ثلاثة ملايين، بينما عدد المصابين بالفيروس يبلغ حوالي ٥٠ مليوناً في كل أنحاء العالم.

يضرب، ولا نكبةٍ، ولا صداع ولا مرض إلا بذنب).

والإنسان يدرك بفطرته إن هذه الأوبئة جاءت لتذكره وتعيده لجادة الطريق القويم الذي خطه وارتضاه لنا خالقنا. وهكذا كانت توجهات الناس في تعاملها مع الطواعين القديمة هي العودة إلى ساحة الإيمان. ولئن كان هناك طاعون أسود (Plague) وطاعون أبيض (السل) فها هو الطاعون الأحمر (الايدز)، وليعلم الغافلون إن هنالك الكثير والكثير من الألوان المتبقية.

ولئن يقول قائل إن هذه الأمراض (الطاعون والتدرن) كانت معروفة قبل استشرائها بينما لم يعرف العوز المناعي قبل حدوث الوباء!

فعن العباس بن هلال الشامي قال: سمعت الرضا (ع) يقول (كلما أحدث العباد من الذنوب مالم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء مالم يكونوا يعرفون) (أصول الكافي ج٢ ص٢٧٥) أي حصول أمراض جديدة.

والقرآن الكريم تحدث عن عقاب أشد وأقسى ألا وهو عقاب الاستئصال الذي حل بالأمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم وما ذلك إلا نتيجة انغماسهم بالكفر والعصيان (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) (الكهف الآية ٥٩).

الهوامش

(١) المجين (Genome): هو لب الفيروس وهو حامض نووي يحتوي على المادة الوراثية أي كامل المحتوى الجيني الذي يستخدمه الفيروس لكي يبقى ويتكاثر وحسب هذا المجين تصنف الفيروسات بوصفها أما فيروسات (دناوية) أو(وناوية) تبعاً لتركيب مجينها.

(٢) الخلايا التائية: للمناعة المكتسبة ذراعان الأول هو المناعة الخلطية (Humoral) والثاني هو المناعة الخلوية (Cellular) ومن العوامل الفاعلة في المناعة المكتسبة اللمفاويات وهي نوعان (بائية وتائية) وينشأ كلا النوعين من الخلايا الجذعية في نقي العظام أما المناعة الخلطية فهي افراز الأضداد اتجاه المستضدات عن طريق الخلايا البائية بينما تكون المناعة الخلوية تعاملاً مباشراً بين اللمفاويات التائية والمستضدات ■

العادة.. والحياة

* أحمد ناجي عبود

تخيل نفسك تجلس في مقاعد المتفرجين وتشاهد (فلماً) يمثل حياتك اليومية، من ساعة أن تستيقظ حتى تأوي إلى الفراش ليلا.. فإذا كنت متنبهاً غاية التنبه لكافة الدقائق والتفاصيل فسوف تجد أن ٩٠٪ من سلوكك اليومي ـ وربما أكثر ـ شيء لا يختلف يوماً بعد يوم وتؤديه، ربما دون أن تعي أنك تؤديه.

أما ١٠٪ الباقية فهي التي قد يختلف فيها السلوك، وينشط الذهن ليواجه مواقف جديدة، وظروفاً طارئة.. ولا بأس أن يكون الأمر كذلك.. فالعادة هي هبة الطبيعة الإنسانية المخلوقة لنا

لتحرر عقولنا من التفكير في كل خطوة نخطوها، بحيث تخلص لرسم سياستنا العليا في الحيـاة، وتحدد أهدافنا فيها، وإجلاء الطرق المفضيـة إليها، ولتقي طاقة نشـاطنا من التبدد في التوافه، أو في الأعمال الرتيبـة التي نزاولها يوماً بعد يوم..

أرأيت حيث تقود السـيارة كيف يشتغل ذهنك، وكيف تبذل جهداً حين توجه اهتمامك لعملية القيادة في حين يصفو ذهنك ليفكر في مسائل أخرى، ولا تستشـعر جهـداً إذا أنـت تركت للعادة أمر القيادة؟!.. فتلك هي الوظيفة الطبيعيـة للعادة، أن تحمـل عنّا عبء القيام بالجانب الرتيب من نظام حياتنا دون أن نتكبـد جهداً فكريـاً أو بدنياً.. ولكن العادة سلاح ذو حدين فإذا كانت العادات التي درجنا عليها من شـأنها أن تسـهل علينا الوصـول إلى المثل الأعلى الذي ننشـده جسمياً، ونفسياً، واجتماعياً، فهـي عندئذ تبدي لنا الحد الذي يسـعد، وهي عندئـذ مطية ذلول نركبها لتحقيق غاياتنا الطبيعية..

أما إذا كانت هذه العادات تبعدنا عن هذا المثل أن نصبو إليه، فهي آنئذ تبدي لنا الحد الذي يشقي، وهي عندئذ تركبنـا نحن على حسـاب طموحاتنا وآمالنا، وأهدافنـا!.. ذلك أن أخطر ما في العادة رسـوخها، وثبات جذورها.. فكمـا أنها قـد تكونت على مـرّ فترة طويلـة من الزمـن، فإن اسـتئصالها يحتاج كذلك لفترة طويلة، ويحتاج قبل هذا إلى الشجاعة والتصميم والمثابرة، ويحتـاج بعد هذا إلى عادة أخرى تحل محلها.. فالعادة أشـبه بالقناة تحفر في أرض حياتنـا، ويزيدهـا التكرار عمقاً واتسـاعاً، ومن ثم فأفضل ما تصنعه بعادة تريد أن تغيرها هو أن تحفر قناة جديدة لتتحول إليها مياه القناة الأولى، فلا تلبث هذه حتى تجف وتنضب.

والعـادة هي حجـر الزاوية في صرح تربيتنـا، فالتربيـة المنزلية ثم المدرسـية، هدفهـا الطبيعـي أن تبث فينـا العـادات الطيبة التي تسـهل لنا أداء رسـالتنا في الحيـاة حين نصبح متأهبيـن لخوضها.. علـى أن عبارة (العـادات الطيبة) هذه عبـارة جدلية يصعـب تحديد مفهومهـا، أو إحصاء مجموعة العادات التـي تندرج تحتها.. وعلماء النفس، والأخـلاق والاجتماع، لا يصـدرون على عـادة أو مجموعة عادات حكماً بالطيبة أو الخبث إلا بناءً على ما يترتب عليها من نتائج سـواء للفرد أو المجمـوع.. وهنا نقترب أكثر مـن جوهـر التربية: هـي إذن عملية يقصـد بها أن تكسـبنا العـادات التي تترتب عليهـا أفضل النتائج لأنفسـنا وللمجتمع.

ولكن هل هذا هو ما تفعله التربية حقاً، سـواء في البيت أو المدرسة؟!..

كلا، فهذا هو الشيء المثالي الذي نجاهد للوصول إليه، وعندئذ نكون قد خلقنا الفرد السعيد الناجح المتوافق، والمجتمع الراضي المتساند المتراحم.

وما وسيلتنا إذن لبلوغ هذا المستوى الأمثل؟.. من الوسائل طبعاً أن نوجه التربية المدرسية هذه الوجهة، وإذ نعلم الآباء والأمهات ما هو دورهم بالتحديد في تربية أبنائهم.. ولكن أقصر السبل وأسرعها أن تعمد إلى الأفراد أنفسهم، مهما تكن أسنانهم.. سواء كانوا في العشرين أو الأربعين، ونهيب بهم أن يعيدوا تربية أنفسهم وقد أصبحت لهم القدرة على ذلك، وخرجوا من نطاق القصور الذي كانوا فيه أطفالا وكانت تربيتهم موكولة إلى غيرهم!.

إننا نعتقد أنه إلى أن يحين الوقت الذي ترسي فيه التربية المنزلية والمدرسية على أسس واعية متبصرة، فمن واجب كل فرد ـ إذا كان يصبو إلى أن يحيا حياة راضية نافعة ـ أن يعيد تربية نفسه.. وأن يبدأ مهما يكن سلف عمره، فذلك أجزى له وأربح.

وكما أن حجر الزاوية في التربية هو بث العادات، فكذلك حجر الزاوية في إعادة التربية، هو تغيير العادات

المقيدة الملجمة بعادات تزيد من انطلاقنا في سبيل أهدافنا.. هي مهمة شاقة.

نعم، ولكن نتائجها تستحق العناء الذي يبذل من أجلها.. وانظر ما يمكن أن تفعله العادات بالأسرة.. إنها يمكن أن تطيح بها، وتلقي بالأبناء في سعير العذاب النفسي.. يكفي أحياناً أن يكون الزوج قد درج على النظام وتكون الزوجة قد اعتادت الفوضى لينشب بينهما النزاع الذي يزعزع أركان الأسرة!.. أو قد يكفي أن يكون الزوج قد اعتاد أن يعلق أهمية كبرى على تنظيم إنفاق المال، وتكون الزوجة قد اعتادت أن تبدده لينشأ الخلاف الذي قد يقوض بناء الأسرة!.. أو ـ إذا تسللنا إلى أغوار النفس واطلعنا على العادات المشحونة بالانفعال ـ يكفي أن يكون الزوج قد درج على أن يكون محور الاهتمام، وتكون الزوجة قد درجت

على الشيء نفسه، فلا هو يهتم بزوجته الاهتمام الكافي، لأنه ينشد الاهتمام لنفسه، ولا هي تهتم به لأنها تطلب الاهتمام لنفسها!.. يكفي هذا سبباً جوهرياً لبث الشقاق بين الزوجين!..

وإذا تركنا الزواج جانباً، وتأملنا الفرد نفسه، لوجدنا أن بناء المرض النفسي قائم على مجموعة من العادات التي رسختها في النفس شحنات انفعالية قوية، فالخوف عادة والقلق عادة، والإحساس بالنقص عادة.. ولعل أجلى ما تتضح فيه العادة من الأمراض النفسية، التسلطات والوسواس.. فليست هذه سوى عادات ذهنية أو سلوكية درج عليها المرء، وقد بدأت أول ما بدأت بشحنة قوية من الانفعال حفر لها مجراها، ثم زادها التكرر عمقاً وأتساعاً.

ومن أمثلة ذلك حالة شاب كان في كل مرة يطلب منه من له سلطة عليه ـ كالأب، أو الأم، أو المدرس، أو من في حكمهم ـ أن يؤدي عملا، يهرب منه إلى الخيال وإن كان يتظاهر بأنه يؤديه!.. كان إذا اضطر إلى القراءة مثلا وهو ما تطالب به السلطة العليا يفتح الكتاب وينظر فيه بعينيه ولكن فكره يغدو مسرحاً لأشياء أخرى أبعد ما تكون عن الكتاب ذلك أنه كان يطلب إليه أول الأمر أن يفعل شيئاً على رغبته فكان يقاوم، ثم لما اضطر إلى أن يرضخ، تظاهر بتلبية الطلب ولكنه قاوم بأبعاد فكرة عن الموضوع، وأصبحت هذه ـ مع التكرار ـ عادات متسلطة عليه!..

بل إذا تركنا الأفراد أيضاً، وتأملنا المجتمع، لوجدنا أن العادات (سلوكية وذهنية) يمكن أن تنخر بناء المجتمع كله.. وخذ مثل مجتمعنا قبل الإسلام كنا قد اعتدنا أن يخضع الضعيف للقوي، والفقير للغني، وصاحب الحاجة لمن يملك تحقيق الحاجة.. وكنا قد اعتدنا أن نتزلف، ونتملق، ونرائي.. وأن نطأ كرامتنا، ونئد

عزتنا.. ثم جاء الإسلام فحول تيار عاداتنا الاجتماعية إلى ما هو أفضل وأقوم وإعادة تربية أنفسنا بحيث نحيا حياة أفضل مع أنفسنا ومع الناس، تحتاج منا إلى ثورة تقلب نظم حياتنا الفاسدة التي نجري عليها بحكم العادة، ولكن علينا أن نتمثل أولا المثل الذي نريد أن نكونه.. نريد أن نكون أصحاء الأبدان؟!. فلننظر إلى عاداتنا فربما اعتدنا أن نظل بلا إفطار حتى موعد الغداء. وهي عادة شائعة للأسف!.. أو ربما اعتدنا أن نبتلع طعامنا بدلا من أن نمضغه... أو لعلنا اعتدنا أن نهمل الجري والرياضة!.

نريد أن نكون أصحاء النفس؟!. فلننظر إلى عاداتنا الذهنية.. ربما اعتدنا أن نصدر أحكاماً قبل أن تتجمع لنا كافة المعلومات.. ربما اعتدنا أن ننساق وراء الغضب والاستفزاز.. ربما اعتدنا أن نكون محور الاهتمام..

نريد أن نعيش في وفاق مع أزواجنا؟!. نريد أن نكون متوافقين مع الناس؟!. فلننظر إذن إلى العادات التي تقف (حجر عثرة) دون ذلك، ولنحمل فؤوسنا لنحفر إلى جوار قنوات عاداتنا القديمة، قنوات جديدة تتجه الوجهة القويمة.. ولنثابر على الحفر، حتى وأن لاحت لنا العادات القديمة أنهراً طافحة...

أفلم تُرد يوماً أن تتصف بالبطولة والشجاعة؟!.. هذه هي فرصتك!! ■

ما هي قصة العدد المشؤوم؟

من أين جاء الاعتقاد بأن العدد (١٣) عدداً مشؤوماً؟

إن تاريخ هذا الاعتقاد يرجع إلى ما قبل ألفي سنة.. فإنك لا تجد اليوم في فرنسا بيتاً يتضمن العدد (١٣) وينعدم هذا الرقم في تعداد الطوابق في أمريكا، فهم يعطون الطابق الثالث عشر العدد (١٢،٥)... تفادياً من ذكر العدد (١٣). أما إيطاليا فقد حذفت العدد (١٣) من أرقام اليانصيب.

يوضح علم الخرافات الجرمانية كل ذلك فيقول: لقد أقيمت مرة دعوة لاثني عشر إلهاً وحضرها إله النار (لوكي) بدون دعوة وأحدث فيها شجاراً حيث قتل حبيب الآلهة (بالدور الجيل).

والتفسير الآخر هو تفسير ديني حيث يرجع إلى قصة العشاء الرباني الأخير في الديانة المسيحية، فقد كان المسيح(ع) يتناول عشاءه الأخير مع اثني عشر من أحبائه وكان في الوليمة يهوذا وهو يشكل العدد (١٣) ويهوذا هو الذي وشى بالمسيح وخانه...

ولا نعلم هل تبدد هذا الوهم بعد أن نجحت مركبة الفضاء الروسية (لونا ١٣) في رحلتها إلى القمر.

وما عشت أراك الدهر عجبا

أول درهم عربي سُكّ في عهد أمير المؤمنين علي(ع) بالبصرة

* أ. د. ناهض عبدالرزاق دفتر
كلية الآداب/ جامعة بغداد

بعد فتح المسلمون للعراق بحدود عام ١٦ للهجرة، وجد الفاتحون في طيسفون عاصمة الدولة الساسانية بالعراق قبل الاسلام، العديد من دور سك النقود الساسانية بكامل عددها وعدتها، وقد استفاد المسلمون من تلك الدور لسك نقود بعد اضافة عدد من الكلمات العربية على حاشية قالب السك للمسكوكة الساسانية وقد سميت تلك النقود بـ(النقود العربية على الطراز الساساني) حيث حملت البسملة (بسم الله) وكلمة (بركة) واسم (محمد)، وبذلك تكون تلك النقود من بين اولى المواد التي حملت الخط العربي في صدر الاسلام، وقد زيدت في أيام عثمان والإمام علي(ع) كلمات عربية أخرى مثل (الملك لله) وفي عهد الإمام علي بن أبي طالب (ع) ظهرت بعض النقود التي حملت (ولي الله)[1] وهو من ألقاب الإمام علي (ع)، وكذلك بعض النقود التي حملت (بسم الله ربي) وإن كانت مسكوكات تلك الفترة لا تحمل مكان سكّها، لكن على الأغلب أنها كانت بالكوفة، تلك المدينة التي مصرها سعد بن أبي وقاص سنة ١٧ للهجرة، وسميت الكوفة بهذا الاسم لاستدارتها، وهي المدينة التي اتخذ منها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ٣٥-٤٠هـ عاصمة له.

وكانت البصرة تلك المدينة التي أسسها العرب المسلمون سنة ١٤ للهجرة وأنشأها عتبة بن غزوان، وكان على إمارتها في عهد الإمام علي بن أبي طالب (ع) عثمان بن حنيف وبعده عبد الله بن العباس،

وقد ساهمت البصرة في عملية تعريب الدراهم الفضية، وذلك بإضافة الكلمات والجمل العربية على قوالب النقود الساسانية حتى سنة أربعين للهجرة حيث سُكّت فيها الدراهم العربية الخالصة بعد ان تخلصت من التأثيرات الساسانية.

وتحتفظ المكتبة الوطنية بباريس بدرهم عربي في سنة اربعين للهجرة من عهد الخليفة علي بن أبي طالب(ع) ٣٥-٤٠ هجرية. وقد نشره المستشرق لافوكس[٢] سنة ١٨٨٧م عندما اصدر كاتالوكه المشهور ونشر صورة هذا الدرهم دون التعليق عليه. والنصوص على هذا الدرهم المهم كما يلي:

مركز الوجه:

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بالبصرة سنة اربعين.

مركز الظهر:

الله احد الله

الصمد لم يلد و

لم يولد ولم يكن

له كفوا احد

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. كلمات هذا الدرهم بدون تشكيل أو اعجام.

نجد في نصوص مركز الوجه لهذا الدرهم النادر شهادة التوحيد ونقشت على وجه الدرهم لتدل على مبدأ العقيدة الاسلامية، مبدأ التوحيد بالإله الواحد الأحد.

وفي طوق الوجه نقشت البسملة ومكان ضرب هذا الدرهم بالبصرة سنة اربعين.

أما نصوص الظهر لهذا الدرهم المهم فقد نقشت سورة الاخلاص بدون (قل هو)، ويبدو أن سبب اختيار هذه السورة إشارة لمدلولها حيث يشير إلى المشركين من المجوس والديانات الأخرى التي تشرك بالله الواحد الأحد، حيث ذكرت الديانة اليهودية أن (عزير ابن الله) وقالت النصارى (المسيح ابن الله) وقال المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقال المشركون: نحن نعبد الأوثان. لذلك قد يكون تسجيل سورة الاخلاص على أول درهم عربي بالاسلام ضرب بالبصرة سنة أربعين هو للرد على المشركين والكفار، حيث تتضمن سورة الاخلاص ان الله واحد احد الجامع لصفات الكمال وليس له مثيل، الغني عن كل ما سواه لم يلد ولم يولد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار[٣].

بعد أن نشر المستشرق الفرنسي هذي لانوكس دليل المسكوكات الاسلامية المحفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس سنة ١٨٨٧م، أثار هذا الدرهم العربي الأول نقاش عدد من المختصين بالنقود العربية ومنهم البريطاني (جون ووكر) حيث ذكر ان التاريخ ربما يكون (اربع وتسعين) وليس (اربعين) ومن خلال المسافة المكتوبة على الدرهم (اربعين) فانها لا تكفي لمساحة كلمتين هما (اربع وتسعين).

اما ناصر النقشبندي وهو من رواد علم النقود بالعراق فقد أشار في مصدره (الدرهم الأموي المعرب بغداد ١٩٧٤) فيذكر: (أما أنا فاعتبره سنة تسعين) وليس اربعين. وعند مقارنة دراهم البصرة سنة تسعين نجد بعض الاختلافات وخاصة بنوع الخط. اما الأمريكي جورج مايلز، أمين

قسم المسكوكات بمتحف جمعية النميات الأمريكية بنيويورك فهو ايضاً يعتبر التاريخ تسعين وليس اربعين. في حين يذكر المستشرق الفرنسي مورجان بقوله: (لقد حاول علي بن أبي طالب بطل الدفاع عن السنة الاسلامية ان يصدر نقوداً لا تحمل صوراً، لكن محاولاته ماتت بموته، وقال ان العملة المنقوشة التي أصدرها علي وعليها تاريخ سنة ٤٠ هـ لم تعد الان موضعاً للشك)[٤].

كما أشارت دائرة المعارف البريطانية (ص٩٠٤ من الطبعة الثالثة والعشرين) عند الكلام عن المسكوكات العربية ما يلي: (ان اول من أمر بضرب السكة الاسلامية هو الخليفة علي بالبصرة سنة اربعين من الهجرة الموافقة لسنة ٦٦٠ مسيحية، ثم اكمل بعده عبد الملك الخليفة سنة ٧٦ من الهجرة الموافقة لسنة ٦٩٥مسيحية)[٥].

مما تقدم نجد ان بطل الاسلام الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) كان أول من أحدث السكة الاسلامية، وابطل النقوش الكسروية (الفارسية القديمة) والقيصرية (البيزنطية)، وهذا البطل العظيم صاحب الأعمال الجليلة الخالدة، فلا غرو في ذلك ان يكون اول من يتفطن لذلك فيمحو آثار الشرك، وشعائر المجوسية والنصرانية عن السكك العربية، وانه اعلم الأمة بصلاحها وفسادها، واولى الناس باقامة الخطأ والعوج، وسد الثلم وتعظيم شعائر الدين والاسلام، لكنه ضربها على الدراهم الفضية المحتاج اليها، وجعل نقشها دائراً مدار الشهادتين سورة التوحيد ورسالة النبي الأعظم(ص) مع ما اضاف اليها من سنة التاريخ ودار الضرب[٦] وتابعه بعد ذلك عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب، ولكن نقودهما ربما صهرت بعد قدوم الحجاج بن يوسف إلى العراق من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان فقال: (ما نبقي من سنة الفاسق أو المنافق شيئاً فغيرها)[٧].

من خلال ما تقدم نجد ان نصوص هذا الدرهم العربي الاول المضروب بالبصرة لهو دليل واضح على ان النقود العربية قد ظهرت في عهد الامام علي بن أبي طالب (ع) وان كان لم يصل الينا درهم واحد لكنه يؤكد على حقيقة مهمة انه سك من هذا القالب المئات وربما الآلاف. لكن مقولة الخليفة عبد الملك (ما نبقي من سنة...) تؤكد قوله، كما ان الايام ربما ستكشف لنا اعداداً من تلك الدراهم ■

هوامش البحث

(١) يحتفظ المتحف البريطاني بلندن مثل هذا النقد ونشره. Walker

(٢) Henri Lavoix: Catalogue de Monnaies Musulmanes de la bibliotheque Nationale. Paris ١٨٨٧ p.١١ no.١٥٨

(٣)محمد فوزي عبد اللطيف: دراسة لمجموعة السكة العربية الاسلامية المكتشفة بالجبل الغربي بليبيا. رسالة ماجستير -جامعة القاهرة- كلية الآثار سنة ٢٠٠٠م.

(٤) De.Morgan: Observation Surles de buts de la Numistmattque Musulmaneen. Prese Reuve Numismatique ١٩٠٧-p.٨١٨٢.

(٥)السيد موسى الحسيني المازندراني: العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير، الجزء الاول -الطبعة الثانية ١٣٨٢ هجرية ص٤٥ المطبعة الاسلامية.

(٦)السيد موسى الحسيني المازندراني: المصدر السابق ص٤٦.

(٧)المصدر السابق ص٤٧، البلاذري: فتوح البلدان ص٤٥٤.

كواكب المنظومة الشمسية بين الرؤيا والحقيقة

* د. طالب هادي قدوري

أورد الحافظ علي بن إبراهيم القمي أحد علماء القرن الرابع الهجري عن رواية للشيخ محمد بن بابويه المتوفى سنة ٣٨١هـ إلى جابر الجعفي.

إن أحدهم سأل النبي(ص) عن الكواكب التي شاهدها يوسف في المنام فأجابه هي: جريان وطارق وذبال وقابس وعمودان وفليق ومصبح وضروح وفرع ووثاب وذو التكفين وبذلك كشف النبي(ص) وقبل أربعة عشر قرناً أسرار ما خفي من أمر كواكب المنظومة الشمسية التي وردت في الآية الكريمة: (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) (يوسف/٤).

تشير الدراسات الحديثة إلى أن الأسماء التي ذكرها رسولنا الكريم (ص) تتضمن أيضاً وصفاً لدلالة مميزة تنطبق على الأسماء المتعارف عليها للكواكب وكما يلي:

جريان: وينطبق على كوكب الأرض التي تجري في السماء بحركات غير متوافرة في غيرها.

الطارق: وينطبق على كوكب الزهرة لأنها تطرق مستوى الكواكب الأخرى.

ذبال: وينطبق على كوكب عطار فاقد للطراوة كثير الجفاف

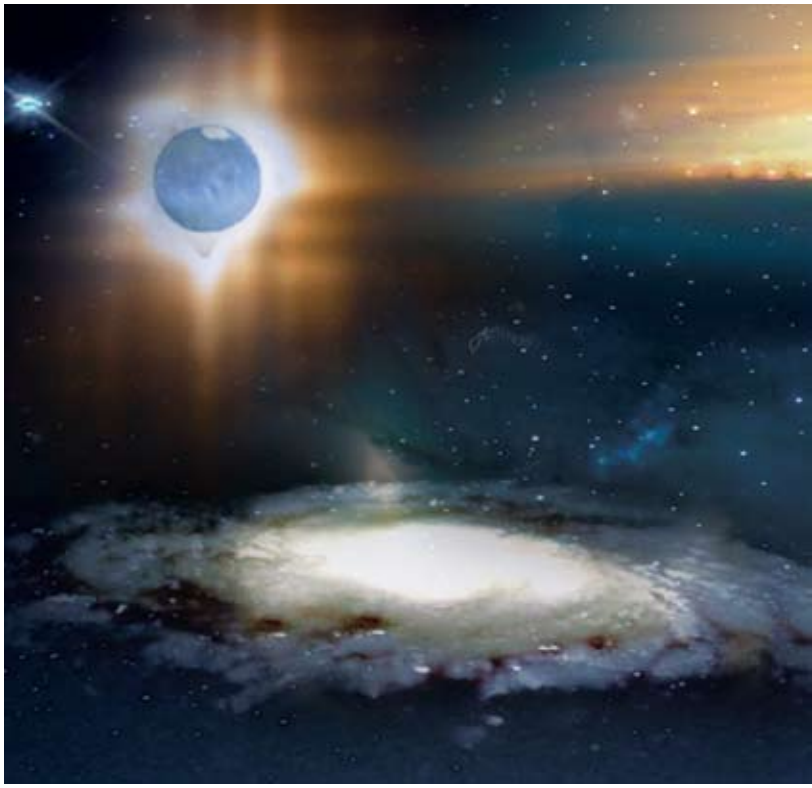

لقربه من الشمس.

قابس: ويطلق على ما يكتسب الحر الشديد من نار عظيمة وينطبق على الكوكب الذي أشار إليه شارل كارل على أنه متواجد بين زحل وأورانوس ويمثل الكوكب الحادي عشر.

عمودان: وينطبق على كوكب المريخ لأنه لا ينفك عن تواجد موقعين تقوم أشعتهما عليه كالعمودين والمخروط من الأشعة.

فليق: ويعني المنفلق وينطبق على مجموعة حزام الكويكبات التي تمثل الكوكب العاشر الذي انفلق وتناثرت أجزاءه في الحزام.

مصبح: وهو يطلق على الجمال وشعلة القنديل وضياء السراج وينطبق على كوكب المشتري الذي لون نهاره كلون الصبح في الأرض.

ذو التكفين: وتعني تغطية الشيء وينطبق على كوكب زحل لأن معظم الكوكب متواري في الحلقات.

ضروح: وهو اسم للقصر العالي وينطبق على الكوكب أورانوس.

وثاب: ويطلق في اللغة على الذي يقفز ويطفر في المشي وهما سمتان للكوكب نبتون لأن حركته في مداره تتعرض للابتعاد والكر رجوعاً بسبب اختلاف جذب بقية الكواكب عليه (جذب بلوتو القليل نحو الخارج مقارنة بجذب بقية الكواكب نحو الداخل).

فرع: والفرع جزء من الأصل وينطبق على كوكب بلوتو الذي يعتبر أول قطعة انفصلت عن السديم الشمسي.

كما ان تسلسل ذكر الأسماء في الحديث قد حدد تسلسل تواجد الكواكب نسبة إلى الشمس وانطلاقاً من الأرض فجاءت الأرض وبعدها الزهرة وثم عطارد لتشير إلى تسلسل الكواكب الداخلية ثم جاء تسلسل الكواكب الخارجية حسب تواجدها حالياً عدا الكوكب قابس الذي لم يتحقق تواجده لحد الآن ■

الطفـل.. ومن يرعاه

* الدكتور فاضل منجي شكر

قبل ربع قــرن من الزمان كان قــدري أن يكــون أول مريض يقع بيــن يدي طفلا في الشــهر الرابع من عمره. وكان الابن البكر لأبويه الشابين، تقرأ على وجهيهمــا بوضوح مزيجاً مــن ملامــح الخــوف والفرح. كادت العــدوى تصيبني منهما لولا تماســك الطبيب المطلوب حســب موروثه عــن معلميه.. ورغــم زحــام العمل فــي تلك الليلة الســاهرة حتــى الصباح فــي خفــارات ذلك الزمــن، لم أكــن أتصور أن صــورة ذلك الكائــن الجميل ســتحفر أثرها في ذاكرتي. ربما كانت سعادتي التــي كانت وراء حبــي لمهنتي طوال كل ممارســتي في عملي.. اذن شــعرت أن تأريــخ حياتي الطبية قد بدأ بفحص هذا الطفل وهذا الشعور استطاع أن يخرج من باطن عقلي صورة بدت لي

حقيقة ان الحياة ذاتها كانت قد بدأت بطفل، فيما عدا ضرورة النشأة الأولى لأبوينا آدم وحواء (ع). ورحت بين الفينة والأخرى أتسائل مع نفسي عن صورة سعادة أبوينا عندما رأى النور أول وليد لهما..

وكطبيب مضيت في تساؤلي عن سر تلك القوة الربانية العظيمة التي أودعها الله الوليد لتكون سبب مقاومته كل ظروف الحياة القاسية من اجل ديمومة الحياة حتى يأخذ الطب دوره بعد عشرات القرون.. فحين ولد طفل، إذن ولدت السعادة وأخذت مكانها في النفوس. سعادة لابد أن تُرعى وطفل لابد أن يُعنى لتمتلئ كل زوايا الحياة بالنور.

ذات يوم سألني ولدي: ماذا يعني الطفل يا أبتي ؟!!

أجبته بعد تأمل قليل بردّ السؤال عليه... قلت له بل أنا الذي يودّ أن يعرف ماذا يعني الطفل عندك يا عزيزي... صمت قليلا وكان الوقت ربيعاً ونحن جلوس في حديقة بيتنا ثم قال ها قد قلتها أنت يا حبيبي فأنا العزيز عندك والطفل عندي هو وردة متفتحة باسمة في بستان أسرتنا الجميل. قلت فان كثروا قال إمتلأت اذن حديقتنا بكل الوان الورد.. اما أنا فقد كنت في غاية السرور بهذا الحوار. قلت حينها فمن أحب حديقته انما أحب حياته فان أحب حياته بوعي فلينظر كيف يحمي ورودها من آفات الدنيا وما أكثرها فان فعل وأحسن فعله صارت زينتها (**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**..) (الكهف آية ٤٦).

وان أهمل صيّرها عدواً له (**واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة**...) (الآية ٢٨ من سورة الانفال).

وعلى هدي هذا الطريق الشيق الشاق بانت هنالك محطات لا يفلح في إشادتها سوى فريق عمل مسؤول يبدأ بالأبوين والأم منهما خاصة ويكمل معهما باقي المربّين من أطباء ومعلمين وعلماء نفس وإجتماع يقف متميزاً بينهم أولئك الروحانيون على عظم مسؤولياتهم.. وهؤلاء جميعاً هم دون شك (ينابيع) دافقة رائقة عندما تجتمع مع بعضها ستصنع بعد خلق الله تعالى ينبوع الحياة.. ينبوع السعادة ومصدر ديمومتها.. الطفل.. الكائن الأجمل بين خلق الله وكل خلقه جميل (**لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم**...) (التين الآية ٤).

فان كان هذا كما أمر رب العزة فالناتج غني عن التعريف. ومن بين هذه الصور تولد فِكَر.. رأيت في إحداها ان من الضرورات الملحة ربما ان يؤسس لهذا الفريق ليتعاون مع بعضه فيخرج حلقات من الحواريات المكتوبة تحتضنه (ينابيع) بدءاً بالطبيب والأسرة ليتكامل بناء الإنسان صحة وروحانية وتعليماً وثقافة ووعياً لتعدّهُ ومن معه إعداداً سليماً على طريق المستقبل يرفع شأنه بسمو العمل وبقية شرور الزلل. (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**...) (التوبة ١٠٥).

وربما يكون لمقالنا لواحق، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ■

الحرية في الإسلام
رؤية عامّة

* الشيخ جهاد الأسدي
كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

تمثل موضوعة الحرية من أكثر الموضوعات إثارة للجدل وأشدها تأثيرا في الرأي العام على أكثر من مستوى، وسنحاول في هذه الورقة أن نرسم الموقف العام للنظرية الإسلامية تجاه هذه المسالة.

الحرية لغة: مشتق من (حرر)، مقابل الرق.

أما اصطلاحاً فيبدو أن ثمة تطوراً دلالياً قد طرأ على هذه الكلمة؛ فأصبحت دلالتها أوسع دائرة لتعني التخلص من كل قيد سواء كان المملوكية ـ بمعناها الخاص ـ أو غيرها.

ولمعرفة مدى حرية الإنسان من وجهة النظر الإسلامية لابد من التعرف على حاجاته، أولا ومن ثم معرفة ما إذا كان الإسلام استجاب لتلك الحاجات،فيكون قد أعطى الحرية للإنسان وذلك بفسح المجال أمامه لإشباعها دون قيد أم انه تنكر لها أو لبعضها فيكون قد سلبه حريته أو بعضا منها.

تكوّن كيان الإنسان ثنائية متنازعة متمثلة بالروح والجسد ولكل من هذين الجانبين متطلبات تختلف عن متطلبات وحاجات الآخر اختلافا قد يصل إلى حد التناقض أحيانا وسنحاول أن نستجلي الحاجات الأساسية لكل منهما، وان نتعرف على موقف الإسلام من الإيفاء بتلك الحاجات.

أما الروح، فإن الحاجة الأبرز فيها هي الانتماء والارتباط إذ أن الدراسات الأنثروبولوجية تشير إلى أن الانتماء يمثل سنة تاريخية غير قابلة للتغير باختلاف الظروف وقد وضع الإسلام الحل لهذه المسألة من خلال مبدأ التوحيد إذ أن مبدأ التوحيد الذي يمثل

ثنائية الرفض والإثبات (لا إله إلا الله) فـ(لا إله) تعني رفض كل أنواع الآلهة سواء كانت مادية أو لا، و(إلا الله) يمثل إثبات الالوهية لذات واحدة هي الله يحرر الروح من الانتماء إلى النسبي الذي ترتبط به لظروف زمكانية خاصة قد تتلاشى كالأحجار والأموال والبشر إذ أن نسبية هذا المنتمى إليه تجعله غير قادر على الاستمرار مطلقاً في هذا الموقع، وبالتالي سيتحول إلى عائق يمنع الروح من الحركة والتطور، قال الله تعالى: (إن الذين اتخذوا من دون الله أولياء مثلهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)، وفي موضع آخر: (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً)

بل نجد أن بعض الآيات القرآنية الشريفة تعد الشرك ظلما عظيما للنفس كما في سورة لقمان: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وفي الوقت نفسه يشبع هذا المبدأ ـ التوحيد ـ الحاجة للانتماء من خلال ربط الروح بمطلق لا يخضع لظروف زمكانية خاصة وإنما هو يتجاوز الزمان والمكان، مطلق كله علم وكله قدرة وكله حياة وهو جامع لصفات الكمال على نحو اللامحدودية هذا المطلق لا يمكن أن يشكل عائقا لحركة الإنسان، قال الله تعالى: (يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) وهذا المبدأ يمثل الركيزة الأساسية في الأيديولوجية الإسلامية وحجر الزاوية لها، ومن هنا ندرك أن الروح لن تصل إلى مرحلة يكون التوحيد والارتباط بالله عائقاً لها في مسيرتها، إذ أن مسيرتها لا يمكن أن تبلغ نهايتها مهما ترقت في مدارج الكمال وإنما تبقى المسافة محفوظة بينها ـ كأمر نسبي ـ وبين الله ـ كأمر مطلق ـ

ولابد أن نشير إلى أن الروح في الإنسان يمثل الجانب الستراتيجي في حسابات النظرية الإسلامية في أبعادها المختلفة ونلاحظ مما تقدم أن الإسلام أعطى الروح حرية مطلقة في مسيرها العمودي وفي سلم التكامل اللانهائي.

وأما الجسد: فهو يمثل الجانب المرحلي للإنسان، فعلاقة الإنسان بالجسد إنما تنتهي بمجرد خروج الروح منه، وإنما أوجد الجسد ليكون أداة ووسيلة يتمكن الإنسان من خلالها من خدمة الجانب الثابت فيه ومع ذلك فان الإسلام لم يسقط الجسد من حساباته، وبالوقت نفسه لم يطلق له العنان دون قيد ليحقق كل ما يريد وإنما اتخذ طريقا وسطا متزنا فالجسد بحاجة إلى طعام كي يستمر والإسلام يبيح له الأكل والشرب، قال الله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق). وهو بحاجة إلى مأوى والإسلام يبيح له ذلك بل شجع الإسلام على امتلاك العقار فقد روي بسند معتبر عن الإمام الصادق(ع) أنه كان يقول: (ما يخلّف الرجل بعده شيئاً أشدّ عليه من المال الصامت، قال: كيف يصنع به؟ قال: يجعله في

الحائط، يعني البستان أو الدار).

كما أن هناك الكثير من الروايات تؤكد استحباب التوسع بالمنزل مذكورة في المجاميع الحديثية كوسائل الشيعة وغيرها. وهو بحاجة إلى جنس والإسلام يبيح له ذلك، قال الله تعالى: (فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع). وقال النبي الكريم(ص): (النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني).

فالإسلام إذن اخذ بنظر الاعتبار جميع هذه الحاجات وأباح تلبيتها ولم يفرض على الإنسان ممارسة بعينها لتلك الحاجات دون ما سواها، وإنما وضع أمامه عدة خيارات بالنسبة لكل حاجة من تلك الحاجات، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تعدد الخيارات الموجودة في كل أمر من هذه الأمور الأساسية وذلك ضمن ضوابط وتقنينات لا تقيد أو تشل حركة الإنسان وبالتالي فهي تفسح المجال واسعا أمامه لممارسة حاجاته بطرق مختلفة.

والخلاصة: إن الإسلام ينظر إلى الإنسان باعتباره كائن مركب من ثابت يمثل هدفا ستراتيجياً عمل على تحريره من كل القيود من خلال مبدأ التوحيد؛ ومتغير يمثل هدفا مرحليا عمل على إشباع حاجاته ضمن تقنينات لا تحد من حركته، وبالتالي لا تقيده، كي يخدم الهدف الثابت في مسيرته عبر مقاطعها المختلفة.

وفي الختام أحب أن أشير إلى أن هذه الورقة عرضت الرؤية العامة لهذه المسالة دون الدخول بالتفاصيل لان ذلك موكول إلى مجالات أخرى ■

ذكاء

لديك ثلاثة أقراص مثقوبة في مركزها وأنصاف أقطار مختلفة رقم (٣) أكبر قطر ورقم (١) أصغر قطر ورقم (٢) بينهما.

المطلوب: نقل هذا الهيكل وبنفس ترتيب الأقراص (من الكبير إلى الصغير) إلى أحد العمودين (ب أو ج) ضمن الشروط التالية:

١. نقل الأقراص منفردة بين الأعمدة أي في كل نقلة يتم نقل قرص واحد.

٢. أن لا يوضع أي قرص على قرص أصغر منه.

٣. النقلات تتم من وإلى الأعمدة (أ، ب، ج) فقط.

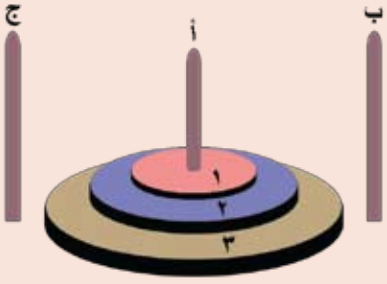

الحل في صفحة أخرى

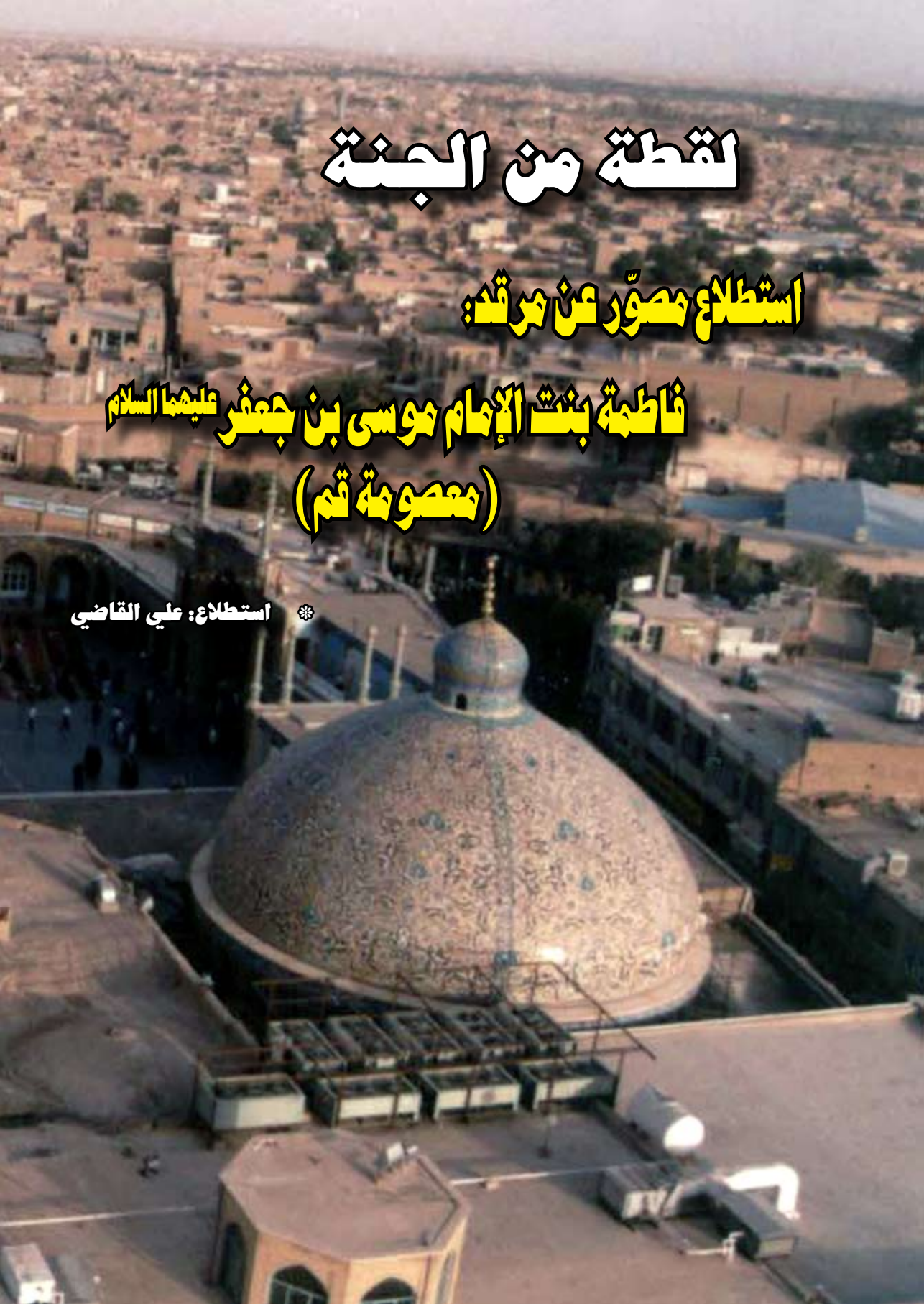

لقطة من الجنة

استطلاع مصوّر عن مرقد:

فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام
(معصومة قم)

❁ استطلاع: علي القاضي

عن الإمام الجواد عليه السلام:

من زار عمتي عارفاً بحقها وجبت له الجنة

محاولة استطلاع مصور عن معلم من معالم الحضارة الإسلاميّة الذي اختارت له صاحبته العظيمة مدينة قم محطاً وأساساً، وجسّدت فيه عظمة شأنها وجلالة قدرها وعلو مكانتها، فأضفت على هذه المدينة قدسيةً خاصة، وصارت مقصداً للمؤمنين وملاذاً للزائرين.

زرع البذرة الإسلامية

دقت طبول حرب القادسية، وتوجهت سرايا الجيش الإسلامي إلى بلاد فارس، وتوزعت في أنحاء المملكة وأطرافها، حتى صارت تنقذ كل حدب وصوب من الشرك وتبث في كل منطقه يدخلوها التوحيد والعبودية لله الواحد الأحد ومعطيات الدين الإسلامي وأهدافه.

وهناك قائد يدعى مالك بن عامر بن هاني ـ جد الأشعريين ـ وجه سريته إلى النقطة المركزية ـ الأقرب للشمال ـ من إيران وفيها مدن كساوة وقم و... ودخلها فوجد فيها قوماً يعتنقون الزرتشتية ويعبدون النار ويقدسونها لكنهم مستضعفون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً وقد استولت عليهم جماعة ظالمة من الديالمة يأتونهم بالآونة والأخرى ويأخذون منهم كل ما يملكون ويدخرون ولا يتمكن السكان من دفع هؤلاء الظلمة، فرأى القائد الإسلامي هذا الموقف وقام بالدفاع عنهم حتى دخل في الصراع مع هؤلاء وأباد تلك العصبة الظالمة وأنقذ المنطقة وما فيها من سكان من كيد المعتدين وخلد ذكراه في تلك البلاد بهذه المبادرة العظيمة في نظر سكان تلك البلاد إذ أنقذهم وصان أعراضهم وأموالهم.

هجرة الأشعريين

في سنة ٨٣ هجرية بعد تولي الحجاج بن يوسف الثقفي زمام أمور الكوفة، بدء الظلم

الضريح الشريف للسيدة (معصومة) فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام

والجور يسود أجواء المدينة المتعبة آنذاك حتى أثر في السكان الأسلوب القمعي لوالي مدينتهم الجائر.

وممن داهمهم الحجاج جماعة الأشعريين القاطنين بالكوفة والذين كانوا موالين لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام فقد قتل الحجاج بعض كبار شخصياتهم وصار يضاعف الظلم عليهم يوماً بعد يوم. فرأوا ايسر الطرق وأسلمها الهجرة من الكوفة إلى بلاد فارس لأنهم يعرفونها ويعلمون أن لجدهم مواقف مشرفة فيها فشدوا الرحال وتوجهوا إليها حتى وصلوا إلى أطراف نهاوند إذ مات بعضهم إثر الابتلاء بمرض الطاعون لكن لم يمنعهم ذلك واستمروا بالسير حتى وصلوا أطراف مدينة قم فوجدوا المراتع والمزارع واستقروا هناك.

بعد مرور فترة من استقرارهم وصل الخبر إلى رئيس الزرتشتية فسر بنبأ وصولهم كثيراً وقرر على أن يسكنهم في داخل المدينة حتى يعينونه على هجمات أعدائه الداخليين..

وافق الأشعريون على الاستقرار بقم ودافعوا عنها حتى انهار العدو بأيديهم فصاروا موضع ترحيب وتعزيز من رئيس الزرتشتية حيث أقام لهم مراسم خاصة مألوفة في ذلك الزمان وبنى مسجداً لعبد الله الأشعري على أن يقيم الصلاة فيه ويكون مناراً لبيان معطيات الدين الإسلامي وأهدافه وكان يوماً بعد يوم تكثر المحبة بين القومين ـ الأشعريين والزرتشتيين ـ حتى وقعوا

حلف الاخوّة والدفاع المشترك ونمى وضع الأشعريين في قم وتطورت حياتهم وتكاثروا فيها وصار لهم ثقل في المدينة، والمحبة والتواصل محفوظان بينهم وبين الزرتشتيين.

مات رئيس الزرتشتيين وخلفه أولاده بئس الخلف، وإذا بهم شعروا بالضيق والأذى من وجود الأشعريين في مدينتهم وكأنهم يخشون من استيلاء الأشعريين على بلادهم فأمروا الأشعريين بالخروج من بلادهم والهجرة إلى مكان آخر، فحذرهم الأشعريون من سوء عاقبة نقض العهد والاخوة فلم يبالوا بهم فرأى الأشعريون قمع هؤلاء الكفرة افضل طريق، فأرسلوا أربعين نفراً منهم في ليلة عيد للزرتشتيين وقتلوا رؤوس الفتنة وأزالوا الشرك والعدوان عن تلك البلاد.

وبعدها جاء أهل المدينة واعتنقوا الإسلام ومذهب التشيع شيئاً فشيئاً حتى صارت مدينة قم مركزاً للتشيع وملاذاً للمضطهدين منهم في أقطار الأرض ووصل عدد المهاجرين من الشيعة إلى ٦٠٠٠ نسمة آنذاك.

وقد وردت روايات وأحاديث كثيرة في فضل مدينة قم وأهلها:

منها: عن الإمام الصادق عليه السلام: (إنما سمي قم لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه). البحار ج٦٠: ٢٠٧.

ومنها: عن الإمام الرضا عليه السلام: (إن للجنة ثمانية أبواب، ولأهل قم واحد منها، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، ثم طوبى لهم). البحار ج٦٠: ٢١٥.

ومنها: عن الإمام الصادق عليه السلام: (تربة قم مقدسة وأهلها منا ونحن منهم لا يريدهم جبار بسوء إلا عجلت عقوبته ما لم يخونوا إخوانهم).

ومنها: عن أبي الصلت الهروي قال: كنت عند الإمام الرضا عليه السلام فدخل عليه قوم من أهل قم فسلموا عليه فرد عليهم وقربهم ثم قال لهم: (مرحباً بكم وأهلا فأنتم شيعتنا حقاً).

كاشي الصحن الشريف

حديث عن النور

هي فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وأمها نجمة ـ أم الإمام الرضا عليه السلام ـ ملقبة بكريمة أهل البيت، المعصومة، فاطمة الكبرى.

ولدت ـ على رواية ـ في أول ذي القعدة سنة ١٧٣ هجرية في المدينة المنورة. وتوفيت في ١٠أو ١٢ ربيع الثاني سنة ٢٠١ هجرية في مدينة قم وعمرها آنذاك ثمانية وعشرين سنة.

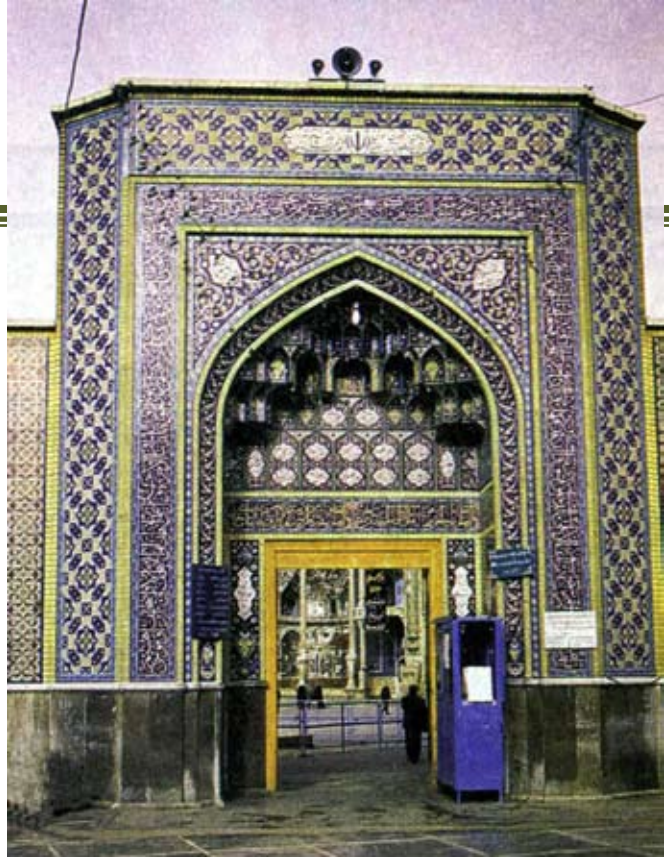

أحد مداخل الصحن الجديد

بعد سنة من نفي الإمام الرضا من المدينة المنورة إلى (طوس) توجهت من المدينة المنورة في سنة ٢٠١ هجرية أخته الشقيقة عليه، المحبة له التي لم تتحمل فراقه مع جمع من أهلها واخوتها إلى ديار الغربة وعند وصولها إلى مدينة ساوة ـ وكان يسكنها جمع من أعداء أهل البيت عليهم السلام ـ اشتبك الأعداء مع مرافقيها عليها السلام وقد استشهد جمع منهم.

وأثر ذلك المصاب الفادح في نفس السيدة المعصومة أثراً بالغاً فأمرت من معها أن يتوجهون إلى قم وأخبرتهم بوجود محبين لهم في قم.

حينما وصلت قافلة أهل البيت إلى أطراف قم وبلغ ذلك أهل المدينة وكبارها خرجوا لاستقبالهم وتقدم موسى بن الخزرج وهو كبير الأشعريين وأمسك بلجام ناقة السيدة فاطمة المعصومة حتى دخلت قم وأسكنها داره وفرح أهل قم بقدوم جمع من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله إلى بلدهم وإذا بهم فوجئوا بنبأ مرض تلك السيدة الطاهرة إثر دس السم إليها في ساوة وتدهور حالة الجو وتعب الطريق حتى أدى إلى وفاتها وغروب شمس أهل البيت في مدينة قم المنعشة بالفرح والسرور لقدومهم فلبسوا أبراد السواد وتهيؤا للحزن وغسلّوها وكفنّوها حتى إذا أرادوا دفنها تحيروا فيمن ينزلها في قبرها إذ لا أهل لها معهم فاختاروا صالحاً طاعناً في السن من بينهم لذلك، وأرسلوا إليه ليأتي فإذا براكبين من جانب الوادي يقتربان حتى إذا وصلوا إلى الجنازة الطاهرة صلّوا عليها ووضعوها في ملحودة قبرها وأهالوا التراب على ذلك الجسد الطاهر وركبوا خيولهم وغطاهم الأفق.

القبّة الشريفة

بعد دفن السيدة فاطمة المعصومة بالصورة التي ذكرت نصب موسى بن الخزرج على القبر الشريف مضلةً وبقيت حتى أواسط القرن الثالث الهجري إذ أتت فاطمة بنت الإمام الجواد عليه السلام إلى قم وأمرت ببناء قبة من الطابوق على القبر الشريف وكثر دفن العلويات بجنب السيدة

المعصومة مما أدى إلى بناء قبتين بجنب تلك القبة الأولى على قبور العلويات، ودفنت زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام تحت القبة الثالثة.

وبقيت هذه القباب الثلاث إلى سنة ٤٤٧ هجرية حيث قام (مير أبو الفضل العراقي) ـ وزير طغرل بيك الكبير ـ وبتشجيع من الشيخ الطوسي قدس سره ببناء قبة واحدة كبيرة فوق قبور العلويات بارتفاع ١٤ متراً وقطر ١١ متراً بدل القباب الثلاث، وزيّنها بالأحجار والألوان الجميلة.

وفي سنة ٩٢٥ هجرية أمرت (شاه بيكي بيكم) بنت الشاه إسماعيل الصفوي بتجديد بناء هذه القبة وأضافت رواقاً ومنارتين إلى جنبها وصحناً مزيناً بالأحجار المنقوشة بالألوان والزخارف المعرقة الجميلة.

وفي سنة ١٢١٨ هجرية غطى جدار القبة الخارجي ١٢ ألف طابوقة مكسوّة بالذهب الخالص.

واليوم قد نزع ذلك الجدار الذهبي القديم وجدد البناء واستخدم ذهب أكثر مما يصل إلى ٢٠٠ كيلو غرام وقد أنجز ما يقارب نصف العمل والله الموفق للإنجاز الكامل إن شاء الله.

ارتفاع القبة عن سطح الأرض ٣٢ متراً ومحيطها من الخارج ٣٥،٦ متراً ومن الداخل ٢٨،٦ متراً وقطرها ١٢ متراً.

ومكتوب عليها أبيات باللغة الفارسية من نظم (فتح علي خان صبا) بخط التعليق ـ الفارسي ـ على شكل بيت بيت بنقوش وتزئينات جميلة.

القبر الشريف

في وسط القبة يقع القبر الشريف بارتفاع ١،٢٠ متراً، وطوله ٢،٩٥ متراً وعرضه ١،٢٠ متراً ومزين بالأحجار والكاشي القاشاني الراقي من بقايا القرن السابع الهجري وأطراف القبر جدار يرتفع عن الأرض ٢ متراً وطوله ٤،٨ أمتار وعرضه ٤،٤٠ متراً تقريباً واليوم قد غطى ذلك الجدار شباك من الفضة المزينة بالآيات والروايات.

ما جرى على المضجع الشريف

في سنة ٦٠٥ هجرية أمر الأميرُ مظفر بن أحمد بن

البيت الذي نزلت فيه السيدة معصومة

منظر عام للمرقد الشريف

إسماعيل محمدَ بن أبي طاهر القمي ـ وكان أعلم أهل زمانه بصنع الكاشي وتزيينه وتجميله ـ أن يصنع للقبر الشريف أفضل ما يتمكن صنعه، وامتثل محمد بن أبي طاهر القمي وشرع بصنع الكاشي المناسب وطال العمل به سبع سنوات حتى أتم ما يناسب ذلك وتم تنصيبه وبناءه في سنة ٦١٣ هجرية.

وفي سنة ٩٦٥ هجرية أمر شاه طهماسب الصفوي ببناء جدار أطراف القبر وزينه بالكاشي المنقوش بنقوش بديعة وألوان فريدة وكتائب معرقة وجعله مشبكاً حتى يتمكن الزائر من رؤية القبر الشريف ووضع النذورات والأموال بقرب القبر الطاهر.

وبعدها أمر بصنع ضريح مضلع ومشبك ذو عشرين فتحة من الفولاذ الأبيض وكان طوله ٥،٢٥ متراً وعرضه ٤،٧٣ أمتار وارتفاعه ٢،١.

وفي سنة ١٢٣٠ هجرية أمر فتحعلي شاه بصب ذلك الضريح الفولاذي بالفضة الخالصة.

وبعد مر السنين تلف الضريح الموضوع على القبر ففي سنة ١٢٨٠ بدلوا الضريح التالف والمتآكل بضريح جديد مصنوع من الفضة الموجودة في الخزانة مع إضافة فضة الضريح التالف.

وكل ما مرت السنون رمموا هذا الضريح وصلحوا التالف والمتضرر منه حتى سنة ١٣٦٨ هجرية حيث أمر المتولي على الروضة المباركة آنذاك بتبديل الضريح ووضعوا ضريحاً من الفضة والذهب، ذو

منظر عام للصحن القديم الذي بُني بأمر من شاه بيكي بكم بنت الشاه إسماعيل الصفوي عام ٩٢٥هـ

فن عال، وتنسيق فريد، ضريح يقصر عن حديثه الكلام.

وفي أول ذي القعدة عام ١٤٢٣ هجرية قام المتولي الفعلي على الروضة المباركة بتبديل الضريح السابق ونصبوا على القبر الطاهر ضريحاً فخماً وجميلا يفوق سابقه في الجمال والفخامة إذ تمثل فيه الفن والتنسيق كله وأعطى للحضرة المباركة رونقاً آخر.

الحرم المطهر

وللحرم المقدس صحنان:

١. **الصحن القديم:**

ويقع في الجهة الشمالية، وقد تم بناء هذا الصحن في سنة ٩٢٥ هجرية بأمر من (شاه بيكي بيكم) بنت الشاه إسماعيل الصفوي وكان أول بناء أضيف إلى القبة.

وله ثلاثة أواوين.. إيوانين صغيرين حاويان للنقوش الرائعة والفن العريق الراقي.

الإيوان الذهبي:

والإيوان الذهبي المتجه إلى الجنوب قد أمرت ببنائه بنت شاه إسماعيل الصفوي في سنة ٩٢٥ هجرية حين تجديد بناء القبة وبناء الصحن القديم. وطوله ٨،٧ متراً وعرضه ٩ أمتار وارتفاعه ١٤ متراً. في أعلاه كتيبة بيضاء بخط الثلث مكتوب فيها (ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً). ومن أعلى الكتيبة إلى ارتفاع مترين نشاهد مقرنسات بقيت من العهد الصفوي معرقة بالكاشي الأزرق المنقوش بالألوان والنقوش الجميلة.

وعلى الإيوان الذهبي منارتين ـ شرقية وغربية ـ

ملبسات بالكاشي وقد نقشت وكتبت عليه ألفاظ (الله، محمد، علي) وفي أعلى المنارة الغربية مقرنسات وكتائب، مكتوب على المنارة الغربية (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وعلى المنارة الشرقية (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه).

أمر ببناء هذين المنارتين حاكم قم (محمد حسين خان شاهسون شهاب الملك) في سنة ١٢٨٥ هجرية وتم تذهب أعلاهما في سنة ١٣٠٣.

ارتفاع المنارتين عن سطح الإيوان ١٧،٤ متراً وقطرهما ١،٥ متراً.

٢. الصحن الجديد:

هذا الصحن الجميل والواسع والمسمى بصحن (أتابكي) أمر ببنائه الميرزا علي أصغر خان صدر أعظم في سنة ١٢٩٥ هجرية وتم بناؤه في سنة ١٣٠٣ هجرية وهو يحتوي على حوض بيضوي الشكل من المرمر الجيد الممتاز وأربعة أواوين إذ كل إيوان يرسم لوحة فنية فريدة، جميلة وغريبة الصنع والتركيب.

الإيوان الغربي:

وقد تجلى رقي الفن العالي في الإيوان الغربي من هذا الصحن حيث رسم الفنان الإيراني (أستاذ حسن المعمار القمي) في حدود سنة ١٣٠٣ هجرية بأمر من (الميرزا علي أصغر خان صدر أعظم) لوحته البديعة وغطى هذا الإيوان بقطع المرايا الصغيرة في تنسيق رائع.

يرى المشاهد في أعلى الإيوان الآية الشريفة: (الله نور السموات والأرض..) وبخط الثلث من الحجر المرمر وعرضها ٣٠ سم.

طوله ٩ أمتار وعرضه ٧،٨٧ متراً.

وعلى الإيوان الغربي منارتين بارتفاع ٢٨ متراً ـ من سطح الإيوان ـ وقطر ٣،٣٠ متراً ملبستان بالكاشي الأزرق المنقوش وفي ثناياه لفظ الجلالة، ومكتوب على إحدى المنارتين (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وعلى الأخرى (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ■

كاشي إيوان الذهب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات: ٦

دلالة آية النبأ على حجية خبر الواحد

مقالة تشتمل على عدة بحوث في اللغة والأدب والتفسير والتأريخ وأصول الفقه

* السيد محمد جعفر الحكيم
أستاذ في الحوزة العلمية

توطئة

من المعلوم لكل من له أدنى اطلاع على مباحث الفقه وأصوله أن أكثر الأحكام الشرعية تستند حجيتها إلى أخبار الآحاد، حيث إن القرآن الكريم وإن كان قطعي الصدور من حيث السند إلا أنه لم يكن قطعي الدلالة في أكثر المقامات، مع أنه لم يتعرض لأكثر الأحكام، وما تعرض له منها لا يعدو كونه من أصول الأحكام العامة، كأصل وجوب الصلاة والزكاة والخمس والصيام والحج، وأحكام العقود والمواريث والقصاص ونحو ذلك، دون الخوض في التفاصيل. بل أوكلت مهمة ذلك إلى السنة الشريفة، حيث تكفلت ببيان تفاصيل ما ورد في القرآن الكريم من أحكام، بل الاستقلال في التشريع في أحيان كثيرة.

إلاّ أنّ ما ثبت من السنة المعلومة الصدور ـ بالأخبار المتواترة أو المحتفّة بالقرائن القطعية ـ من الأحكام الشرعية، أو تفاصيلها، هو النزر اليسير جداً. والمتكفل بذلك هو أخبار الآحاد، لأنها هي العمدة في إثبات ذلك، ومن هنا تنبع أهمية إثبات حجيتها.

ولا نريد بخبر الواحد خصوص ما كان الخبر واحداً غير متعدد، وهو ما يعبر عنه بلسان التوصيف (الخبر الواحد). بل المراد منه مطلق ما لم يفد العلم من الأخبار، أي ما يقابل الخبر المتواتر، أو المحفوف بقرينة تفيد العلم

بالصدور، وهو ما يعبر عنه بلسان الإضافة (خبر الواحد)، وان كان راويه أكثر من واحد، أو كان الخبر متعدداً أو لم يصل حد التواتر، فهو اصطلاح خاص.

وحيث أن المعتبر في الحجة أن تكون مفيدة للعلم، أو تنتهي إليه بالنتيجة، إذ لا يكفي فيها أفادتها الظن، لان الظن لا يغني عن الحق شيئاً، كما نطق به التنزيل. ومن ثم اشتهر القول بأن كل ما بالعرض لابد أن ينتهي إلى ما بالذات، وإلا لزم التسلسل.

ولما كان خبر الواحد ـ نوعاً ـ لا يفيد العلم، تعين لزوم الانتهاء به اليه، حتى يصلح أن يكون حجة معذرة أمام الخالق الأعظم (عزّ وجلّ) عند المساءلة، كما يصلح أن يكون حجة له تعالى على العبد عند المخالفة، وهو المعبر عنه ـ في الاصطلاح ـ بمقام التعذير والتنجيز.

ولذا كان مبحث حجية خبر الواحد من أهم المباحث في علم أصول الفقه، التي لابد للمجتهد في مقام الاستنباط من الفراغ عنها، والخروج منها بنتيجة قطعية تصحح له الاعتماد عليه في معرفة الأحكام الشرعية، سواء في حقه أم في حق من يرجع إليه في التقليد.

كما يعرف المطلعون من أهل الاختصاص أن كثيراً من القواعد الشرعية المعتمدة في معرفة الأحكام مصدرها أخبار آحاد. ومن ثم تتضح أهمية إقامة الدليل القطعي على حجية خبر الواحد.

وللفقهاء والأصوليين عدة طرق في إثبات الحجية للخبر، بعضها من القرآن الكريم، وبعضها من السنة الشريفة، أو من الإجماع، أو من السيرة العقلائية، أو غير ذلك من الأدلة.

والذي نحن بصدده هو إثبات الحجية من القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن أهم ما استدل به من القرآن العزيز، وكثر الأخذ فيه والرد بين العلماء: قديمهم وحديثهم، من الآيات الشريفة ما أسموه بآية النبأ، وهي قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الحجرات:٦).

ويحسن مقدمة للاستدلال بها على الحجية ذكر عدة أمور قد يكون

لها دخل في المطلوب:

المراد من الفاسق في الآية

(أولها): أن المقصود بالفاسق ـ باصطلاح الفقهاء ـ ما يقابل العادل، تقابل الملكة وعدمها. لكن لا يبعد ـ بملاحظة استعمال اللفظ في القرآن الكريم، وموارد كثيرة من السنة الشريفة ـ ارادة خصوص المنافق منه في الآية، ومن ثم ورد النهي عن تسمية المؤمن الخارج عن بعض التعاليم الشرعية بالفاسق، والأمر بتسميته (فاسق العمل). بل هو المتعين في خصوص مورد نزول الآية الشريفة، لاتفاق الخاصة والعامة على أن المراد به الوليد بن عقبة بن أبي معيط، المشهور بالنفاق.

وفي السيرة الحلبية: (إن قوله تعالى: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) (السجدة:١٨) نازل في أمير المؤمنين (ع) وفي الوليد، فكان يدعى بالفاسق) ج٢: ٥٩٢.

معنى النبأ

(ثانيها): أن النبأ وإن كان قد يستعمل في مطلق الخبر، لكن الأقرب أن يراد منه خصوص الخبر ذي الشأن والأهمية، ولا سيما في مورد الآية الشريفة، لأن متعلقه الإخبار عن ارتداد بني المصطلق، المترتب عليه هدر دمائهم وأموالهم، ولا شبهة في أنه من الأمور المهمة ذات الشأن الكبير، وعليه فهو أخص مطلقاً من الخبر.

معنى التبين في الآية

(ثالثها) أن الفعل (تبين) يستعمل في معنيين أساسيين، أحدهما: الظهور والوضوح، وهو ـ بهذا المعنى ـ لازم، ومن قوله تعالى: (كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود). وقوله تعالى: (قد تبين الرشد من الغي).

وثانيهما: طلب الظهور، وهو ما يساوق الاستيضاح، فيكون متعدياً، فتقول: تبينتُ الأمر، إذا عرفته واستوضحته.

والثاني هو الظاهر من الآية الشريفة، فيحتاج إلى مفعول، وقد اشتهر بين الأعلام تقدير ما يناسب التعليل في ذيل الآية، من قبيل الصدق ونحوه، فيكون مفادها: إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا صدقه لئلا

تصيبوا قوماً بجهالة... لكن الشيخ المظفر (ره) ذكر في أصوله أن التقدير خلاف الأصل، وقرب ان يكون الذيل بنفسه مفعولا للفعل (فتبينوا)، وهو قوله تعالى: (أن تصيبوا...). فيكون المعنى: فتبينوا واحذروا إصابة قوم بجهالة. وادعى أنه مقتضى سياق الكلام، وهو المتسق مع أصول القواعد العربية. وعليه لا يكون للذيل ظهور في التعليل الذي قد ينافي المفهوم، كما يأتي التعرض له.

إلاّ أن الغريب أنه (رحمه) لم يكتف بفعل التبين وحده، بل أضاف اليه ـ على سجيته ليتم المعنى ـ الفعل: (واحذروا) فوقع في التقدير أيضاً، وهو خلاف الأصل. إلا أن يرجع إلى استعمال الفعل (تبين) بما يتضمن معنى التثبت والحذر، كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا) (النساء:٩٤).

ويناسبه القراءة الثانية للآية: (فتثبتوا) بدل (تبينوا). لكن كثر أيضاً حذف عامل (أن) مع الفعل (تبين) وغيره في مقام التعليل، كقوله تعالى: (يستفتونك في الكلالة... يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم) النساء:١٢). وقوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين) (الأعراف: ١٧٢).

ومعه كيف يكون ما ذكره (ره) مقتضى سياق الكلام؟ فضلا عن كونه أقرب للقواعد العربية؟ ولاسيما مع كون التعليل ـ خصوصاً الارتكازي ـ أبلغ في بيان المطلوب وتحقيق المقصود. هذا مع أن الفعل وإن كان معناه الحذر والتثبت، فهو لا ينافي التعليل، فيحسن ما لو قيل: فتثبتوا واحذروا لئلا تصيبوا قوما بجهالة... فلا يبعد أقربية ما عليه الأكثر من التقدير، خصوصاً أنه المناسب لجعل التبين كناية عن لازم المعنى، وهو عدم حجية خبر الفاسق، كما هو قريب.

عدم وجوب التبين نفسياً

هذا ومن الظاهر أن التبين ليس واجباً نفسياً، بل هو شرط لجواز العمل بالخبر، ومن ثم لا يحتمل شموله لخبر الفاسق لو أفاد العلم. ولكن هل المراد منه التبين العلمي، أو ما يعم العرفي الموجب للوثوق؟ الظاهر الثاني، لأنه المناسب جداً للتعليل في ذيل الآية

الشـــريفة، وهو التوقي من الوقوع في الندم، فانه يكفي فيه جريان العمل على الطريقة العقلائية وان لم يصب الواقع، والحجج العقلائية غيـــر موقوفة على حصول العلم. ولا إشكال عند العقلاء فـــي أن العامل بها لـــو أخطأ لا يكون ملوماً أو نادماً إلا مع التفريط، وهو لا يأتي مع فرض التبين بالنحو الموجب للوثـــوق. إلا أن يدعـــى منافـــاة ذلك لخصوص مورد الآية الشـــريفة. لكن الظاهر عدم توقـــف العقلاء عن العمل بحججهم وإن لـــم تفد العلم، حتى في الأمور المهمة، والتي منها مورد الآية الشريفة.

معنى الجهالة وتطبيقه في مورد الآية

(رابعها): اشـــتهر عنـــد اللغويين مقابلة الجهالة والجهـــل بالعلم، وهي بهذا المعنى مـــع العلم من قبيل الملكة وعدمها. وقد تســـتعمل بمعنى الطيش والحمق، أي مـــا يقابل الحلم والتعقل. وقد قرب الشـــيخ المظفـــر (ره) كون الثانـــي هو الأصـــل، وأن الأول معنى حادث، منشؤه الحاجة لتحديد المعاني بعد نقل الفلســـفة اليونانيـــة إلى اللغة العربية، ويناسبه ما في المعلقة:

ألا لا يجهلنْ أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن ثـــم كان من صفات النقص المستتبعة للذم، بخلاف المعنى الأول، فانه وإن كان نقصاً، إلا أنه لا يستتبع الذم، بل هو من ســـنخ العـــذر إلا مع التقصير.

وهـــو وإن كان قريبـــاً، إلا أنه لا يكفـــي في كون المعنـــى الأول حادثاً، لتعارفه أيضاً في القرآن الكريم واللغة، ومنه قول السموأل:

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم
فليس سواءً عالم وجهول

لكن لا ريب في أن المقصود منه فـــي الآية الشـــريفة هـــو الثاني، وهو المناســـب لورودها في مقـــام تبكيت بعض الصحابة لتسرعهم في محاولة ترتيب الأثـــر على خبـــر الوليد، وهو ارتداد بني المصطلق، ولذا علل بمخافة الوقوع في الندم، الذي هو إشـــارة إلى قضيـــة ارتكازية عرفيـــة. وهو مما له دخل في معرفـــة التنافي بين المفهوم ـ لو كان ـ والتعليل، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

موقف الآية من السيرة العقلائية

نعم قـــد يدعى أن حمـــل التعليل على الإقدام على ما لا ينبغي فعله عند العقلاء لا يناسب مورد الآية الشريفة، حيـــث وردت ـ كما عرفت ـ للردع عن

العمل بنبأ الفاسق. إذ لا مجال لاحتمال إقدام الصحابة على ما لا يقدم عليه العقلاء المنافي للحكمة والتعقل، فيتعين الالتزام بكون الآية رادعة عن سيرة العقلاء على العمل بمطلق الخبر.

قال الشيخ المظفر (ره): (إنها تعطي أن النبأ من شأنه أن يصدق به عند الناس، ويؤخذ به من جهة أن ذلك من سيرتهم. وإلاّ فلماذا نهي عن الأخذ بخبر الفاسق؟... فأراد تعالى أن يلفت أنظار المؤمنين إلى أنه لا ينبغي أن يعتمدوا كل خبر من أي مصدر كان، بل إذا جاء به فاسق ينبغي أن لا يؤخذ به بلا تروٍ... والسر في ذلك أن المتوقع من الفاسق ألا يصدق في خبره).

لكن التأمل في لسان الآية الشريفة وسياقها يأبى ذلك جداً، إذ لم يثبت عمل النبي (ص) وعامة الصحابة بخبر الوليد، بل يظهر من بعض النصوص أن بعض المرجفين والمنافقين الذين يتسرعون في تصرفاتهم، ممن ابتلي بهم النبي (ص) في حياته، والمؤمنون بعد وفاته، حاولوا ترتيب الأثر على ذلك طمعاً في الغنائم، أو نتيجة الأحقاد الجاهلية بدون تثبت أو تروٍ بالفحص في مورد النبأ. ولا سيما مع ما يترتب عليه من هدر للدماء، وان النبي (ص) والمؤمنين لم يوافقوهم على ذلك، وكان نزول الآية الشريفة تأييداً لهم، وحسماً لمادة الفتنة والفساد، ومن ثم أعقبها قوله تعالى: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون. فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) (الحجرات: ٧،٨).

بل هي بإمضاء سيرة العقلاء في التثبت والتروي ـ بقرينة كون التعليل ارتكازياً، خصوصاً في الأمور المهمة ـ أشبه، فضلا عن كونها رادعة عنها.

هذا مع امتناع دعوى سيرة العقلاء على العمل بمطلق الخبر، حتى خبر غير مأمون الكذب مع عدم حصول الوثوق منه. وأما عملهم أحياناً بخبر الطفل أو مجهول الحال، فله عدة مناشئ، كأن يكون محفوفاً بقرينة مفيدة للعلم أو الوثوق، أو لموافقته للاحتياط، أو لمصلحة المنقول إليه، أو نحو ذلك، دون ما يرجع إلى مقام الاحتجاج تعذيراً أو تنجيزاً، كما هو محرر عند الاستدلال بالسيرة العقلائية على حجية خبر الثقة ■

يتبع في العدد القادم

الأصول التاريخية لعلمي الحديث والرجال عند الإمامية

* الأستاذ الدكتور حسن الحكيم
رئيس جامعة الكوفة

المقدمة

نشط علماء الامامية في دراسة علمي الحديث والرجال وتدوينهما خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، ولهم فيهما تصانيف عدة، وأصول رئيسة عامة، وتعد المرجع الأصيل في هذين العلمين، وقد أسهم هؤلاء الرجال في تدوين الأحاديث الخاصة بالشيعة الامامية، وفي معرفة رجالها، وتصنيفهم وفق مصطلحات الجرح والتعديل حتى تسهل مهمة الباحث للرجوع إلى أخبار الأئمة من آل البيت (ع).

وعلم الرجال، أو علم رجال الحديث يستهدف معرفة درجات الرجال وطبقاتهم، ولا يمكن الاطمئنان بصحة الحديث مالم يبذل جهداً في معرفة رواته، ويمكن اعتبار (علم الرجال) و(علم الحديث) من علوم (مصطلح الحديث)، وهذه الملازمة بين الحديث ورجاله جعلت المتخصصين فيهما يتحرون مواطن الضعف والقوة فيهما، ومعنى ذلك الوصول إلى مصطلح (نقد الحديث)، وسوف اتعرض لعلم الحديث، وعلم الرجال كلا على انفراد.

أولاً: علم الحديث

إن الأحاديث المروية عن الرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وعن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم، قد صنفت في كتب عرفت بالأصول، وهي أربعمائة مصنف ـ بفتح النون ـ لأربعمائة مصنف ـ بكسر النون ـ وهذه الأصول هي بداية الفكر الامامي لعلم الحديث، وقد جمعت هذه الأصول في القرنين الرابع والخامس الهجريين في موسوعات مطولة أربعة هي[1]:

١. كتاب (الكافي) لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى عام ٣٢٩هـ وقد اشتمل على ١٦١٩٩ حديثاً.

٢. كتاب (من لا يحضره الفقيه) لأبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي،

المعـــروف بالصدوق، المتوفى عام ٣٨١هـ وقد اشتمل على ٩٠٤٤ حديثاً.

٣. كتاب (تهذيب الأحكام) لأبي جعفر محمد بن الحســـن الطوســـي، المتوفى في مدينة النجف الأشـــرف عـــام ٤٦٠هـ وقد اشتمل على ١٣٥٩٠ حديثاً.

٤. كتاب (الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) للشيخ الطوسي أيضاً، وقد اشتمل على ٥٥١١ حديثاً.

وقـــد ألّفت هذه الكتـــب الأربعة خلال الحكم البويهي للعـــراق (٣٣٤-٤٤٧هـ)، وقد تميز بالحرية الفكرية، والتسامح تجاه جميع السكان، وعدم تســـليط أبناء مذهبهم على غيرهم من المذاهب الاسلامية الأخرى[٢].

وكان من نتائج هذه السياســـة، هدوء الأحوال، واستقرار الأمور في أغلب الأحيان، وانصراف الناس إلى العمل من أجل ترقية الحيـــاة المادية والروحية، وعـــادت مدينة بغداد كعبة العلم والفكر والثقافة على النحو الذي كانت عليه في العصر العباسي الأول.

وقد حـــاول بعض الباحثيـــن مقارنة أحاديث الصحاح والســـنن عند أهل السنة وهـــي: صحيح البخـــاري، المتوفى ٢٥٦هـ وصحيح مســـلم، المتوفى ٢٦١هـ وســـنن السجســـتاني، المتوفى ٢٧٥هـ وسنن ابن ماجـــة، المتوفى ٢٧٥هـ وســـنن الترمذي، المتوفى ٢٧٨هـ وســـنن النسائي، المتوفى ٣٠٣هـــ بأحاديـــث الكتـــب الأربعـــة عند الامامية، وبيـــان اوجه الاختـــلاف بينهما، فقيل: (ان محدثي الســـنة يتبعون الاســـناد لكل حديث إلى سبعة أو ثمانية أجيال لمدة تبلغ القرنين إلى أن يصلوا إلى رجل عاصر الرســـول (ص) وروى عنه، فـــان محدثي الشـــيعة لا يحتاجون إلا إلـــى ذكر ثلاثة أو أربعة أشخاص من الثقات سمعوا عن أحد الأئمة (ع)، ثم يرفعونـــه إلى حيث يريدون، وعمدتهم في ذلك إلى الرســـول هم الأئمة)[٣].

وقد علل الاستاذ السيد هاشم معروف الحســـيني هذه الظاهرة عنـــد الامامية في كتابـــة الحديث الشـــريف بقولـــه: (والذين جمعـــوا محتويات الأصول فـــي كتبهم من المتقدمين حذفوا الاسانيد من بعضها بقصد الاختصار والتســـهيل على من أراد الرجوع اليها، وأشاروا إلى ما يدل على السند الكامل في مقدمة كتبهم[٤].

وعند دراســـتنا للشـــيخ الطوسي في رســـالتنا الجامعية عام ١٩٧٤م، وجدنا في نهاية كتابي (التهذيب والاستبصار) مشيخة الاحاديـــث قـــد أوردها الشـــيخ الطوســـي بصـــورة كاملة. وقد حـــاول مؤلفوا الكتب الأربعة (الكليني والصدوق والطوسي) جمع الأحاديـــث المروية عن الأئمة (ع)، تســـهيل مهمة الفقيه في ســـعيه للوصول إلى الحكم الشرعي بواسطة الرجوع إلى أخبار الأئمة (ع).

وكان للمشايخ الثلاثة مناهج في كتابة الأحاديث، ولذا لم تســـر كتبهم على نســـق واحد، فالشـــيخ أبو جعفر الكليني كان يذكر اســـناد الحديث بتمامه، أو يحيل أوله على

اسناد سابق قريب. أما الشيخ الصدوق فقد كان يترك أكثر السند في محل رواية الخبر، ويذكر الطرق المتروكة في آخر الكتاب مفصلة، أما الشيخ الطوسي فانه كان يذكر تمام الاسناد تارة، ويتركه تارة أخرى، وربما أنه ترك الأقل وأبقى الأكثر، ويقول الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن زين الدين العاملي (المتوفى عام ١٠١١هـ): ان أهل الدراية يسمون ترك أوائل الأسانيد تعليقاً[٥].

وقد أوضح الشيخ الكليني منهجيته في كتابه (الكافي) بقوله: (انك تحب أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع فيه من جميع فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلم، ويرجع اليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين، والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين(ع)، والسنن القائمة عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة نبيه (ص)[٦].

أما الشيخ الصدوق فقد أشار إلى حذف الأسانيد لئلا تكثر طرقه، وان كثرت فوائده، ويقول: (ولم أقصد فيه ـ أي كتاب من لا يحضره الفقيه ـ قصد المصنفين في ايراد جميع ما رووه، بل قصدت إلى ايراد ما افتي به، واحكم بصحته)[٧]، ويبدو ان الشيخ الصدوق لم يعتمد جميع الأحاديث التي رواها المحدثون الذين سبقوه، ويعقب الامام السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي على رأي الشيخ الصدوق بقوله: (فان هذا الكلام ظاهر في ان كتاب الكافي في اعتقاد الصدوق كان مشتملا على الصحيح وغير الصحيح كسائر المصنفات)[٨].

أما الشيخ الطوسي فانه جمع بين منهجيتي الشيخين الكليني والصدوق، فانه تارة يتقيد بذكر السند كاملا، وتارة أخرى يبتر مقدمة السند، فينقل رأساً عن الأصل، ويترك ذكر طريقه اليه، وهذا ما دعاه إلى ذكر مشيخته الذين يروي عنهم الاصول والكتب في خاتمة الكتاب، ويعلل الامام السيد محمد مهدي الطباطبائي (بحر العلوم)، المتوفى عام ١٢١٢هـ على ذلك بقوله: (ان الباعث على حذف الوسائط قصد الاختصار، مع حصول الغرض بوضع المشيخة)[٩].

ولكن الشيخ الطوسي قد يخرج عن هذه المنهجية في بعض موارد كتاب (تهذيب الاحكام)، وقد أوضح السبب بقوله: (كنا شرطنا في أول الكتاب ان نقتصر على ايراد شرح ما تضمنته الرسالة المقنعة ـ وهي للشيخ المفيد المتوفى عام ٤١٣هـ ـ وان نذكر مسألة مسألة ونورد فيها الاحتجاج من الظواهر والأدلة المفضية إلى العلم، ونذكر مع ذلك طرفا من الأخبار التي رواها مخالفونا، ثم نذكر بعد ذلك ما يتعلق بأحاديث أصحابنا رحمهم الله، ونورد المختلف في كل مسألة منها والمتفق عليها، ووفينا بهذا الشرط في أكثر ما يحتوي عليه كتاب الطهارة، ثم انا رأينا ان نخرج بهذا البسط عن الغرض ويكون مع هذا الكتاب مبتوراً غير مستوفى فعدلنا عن هذه

الطريقة إلى ايراد أحاديث أصحابنا رحمهم الله المختلف فيه والمتفق، ثم رأينا بعد ذلك ان استيفاء ما يتعلق بهذا المنهاج أولى من الاطناب من غيره فرجعنا وأوردنا من الزيادات ما كنا أخللنا به)[١٠]. وان الزيادات التي أشار اليها الشيخ الطوسي في آخر كتاب (الطهارة) من كتاب (تهذيب الأحكام) جاءت كمستدرك على أصل الكتاب، فيقول: (نحن نذكر الطرق التي يتوصل بها إلى رواية هذه الأصول والمصنفات ونذكرها على غاية ما يمكن من الاختصار لتخرج الاخبار عن حد المراسيل، وتلحق بباب الزيادات)، وقد عقب الشيخ الاردبيلي محمد بن علي الغروي الحائري على منهجية الشيخ الطوسي بقوله: (إعلم ان الشيخ الطوسي ـ قدس سره ـ ذكر أحاديث كثيرة في كتابي التهذيب والاستبصار عن رجال لم يلق زمانهم، وانما روى عنهم بوسايط وحذفهما في الكتابين، ثم ذكر في آخرهما طريقه إلى رجل رجل مما ذكره في الكتابين ثم قال: وقد أوردت جملا من الطرق إلى هذه المصنفات والأصول، وقد ذكرنا مستوفى في كتاب فهرست الشيعة ـ ويقصد به كتاب الفهرست وهو أحد كتبه المشهورة ـ وطريقة الشيخ رحمه الله في التهذيب والاستبصار إلى هؤلاء واحد، فالطريق صحيح ان كان جميع رجاله ثقات امامية، وحسن ان كان الجميع امامياً ممدوحاً، أو بعضه أمامياً ممدوحاً ـ وبعضه ثقة امامياً وقوي ان كان جميع رجاله ثقات مع فساد مذاهب الكل أو البعض، أو بعضه ممدوحاً إمامياً وبعضه ثقة غير إمامي، وضعيف ان كان جميع رجاله ضعيفاً أو مهملا، وانا أردت ان أذكر طريقه إلى كل رجل على سبيل الأجمال على ترتيب حروف المعجم مما ذكر في آخر الكتابين، ومما لم يذكره فيهما بل ذكره في الفهرست. وكذا فعل الشيخ أبو جعفر محمد بن بابويه رحمه الله تعالى في الفقيه ـ ويقصد هنا الشيخ الصدوق في كتابه من لا يحضره الفقيه– فنذكر طريقه أيضاً إلى كل رجل رجل على سبيل الاجمال ثم الكنى ثم عنوان الأخبار)[١١].

ويحدثنا الاستاذ السيد محمد تقي الحكيم عن ماهية أحاديث الكتب الأربعة بقوله: (ولقد كان من المألوف قديماً أن مؤلفي كتب الحديث ما كان ليهمهم تمحيص الأحاديث بقدر ما يهمهم تدوينها، وكأن مهمة التمحيص موكولة إلى المجتهدين في مجالات استنباط أحكامهم، ومن هنا احتجنا إلى تسليط الأضواء على جميع كتب الحديث، وإخضاعها لقواعد النقد والتمحيص التي عرضت في كتب الدراية، وحسب هؤلاء المؤلفين أمثال الكليني والشيخ الطوسي، وأصحاب الصحاح والمسانيد، ان لا يكونوا موضعاً للطعن في أمانتهم في مجالات النقد والتجريح. ولعل لهم من وجهات النظر في نقل مختلف الأحاديث ما يحمدون عليه)[١٢].

وقد وفرت كتب الحديث الأساسية المعروفة عند الامامية مادة فكرية خصبة لرجال العلم والفكر، وذلك أنهم أخذوا

يتبارون في عرض وجهات نظرهم إلى توثيق الروايات لاسيما تلك التي تتباين في مضامينها تبايناً قد يؤدي إلى التناقض، ولهذا اضطلع عدد من الفقهاء والمحدثين المعول على نزاهتهم وتدينهم، خصوصاً في عهد العلمين الكبيرين: جمال الدين، أبو الفضائل احمد بن طاووس المتوفى عام ٦٧٣هـ صاحب كتاب (حل الاشكال في معرفة الرجال) والعلامة الحلي جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر، المتوفى عام ٧٢٦هـ صاحب كتاب (الرجال). ان يضعوا بعض المبادئ التي بموجبها يمكن ترجيح حديث على آخر، وتصنيف الأحاديث على النحو الآتي: الصحيح، الحسن، الموثق، الضعيف، ويمكن التعرف على كل منها في مظانها؟

ثم إنهم قسموا طريق الحديث إلى متواتر وآحاد، وعنوا بالمتواتر ما ينقل عن جماعة تبلغ في الكثرة والتنوع حداً يمتنع معها اجتماعهم أو تواطؤهم على الكذب، وهذا النوع من الحديث حجة يلزم الأخذ به، أما حديث الآحاد فهو مالم يتوافر له ذلك، سواء كان الراوي واحداً أم أكثر[١٣].

وكان من رأي العلماء المتاخرين إخضاع أحاديث الكتب الأربعة إلى النقد الموضوعي، وكشف حالة بعضها خصوصاً تلك التي تخلو من القرائن الموجبة لصحتها، ويقول الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب (كشف الغطاء): (فوجب على العلماء في علمهم تبينها ليعرف غثها من سمينها، فتوجه لتصحيحها خلفهم بعد سلفهم على وجه تركن النفس إلى العمل بها)[١٤].

ويرد الشيخ فخر الدين الطريحي، المتوفى عام ١٠٨٥هـ على الذين يأخذون الأحاديث من دون غربلة وتمحيص واستقصاء بقوله: (ذهب فرد من المتاخرين إلى العمل بجميع ما ورد في الكتب المشهورة من أخبارنا من غير فرق بين صحيحها وعليلها وضعيفها وسقيمها مدعياً حصول العلم العادي انا نعلم عادة ان الامام ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني وسيدنا الأجل المرتضى، وشيخنا الصدوق، ورئيس الطائفة ـ ويقصد به الشيخ الطوسي ـ قدس الله أرواحهم لم يذكروا في أخبارهم بأن احاديث كتبنا صحيحة، وبانها مأخوذة من الأصول المجمع عليها)[١٥].

وكان غرض هؤلاء العلماء هو الرد على جماعة الحركة الاخبارية التي برزت في أوائل القرن الحادي عشر الهجري على يد الميرزا محمد أمين الاسترابادي المتوفى عام ١٠٣٣هـ حيث عرف عن أصحاب الحركة الاخبارية أنهم يمنعون الاجتهاد في الاحكام الشرعية ويعملون بالاخبار، ويرون أن ما في الكتب الأربعة من أحاديث هي قطعية السند، وموثوق بصدورها، فلا تحتاج إلى البحث عن أسانيدها، وقد أعطى الامام السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي رأيه في الحركة الاخبارية بقوله: (ذهب جماعة من المحدثين إلى أن روايات الكتب الأربعة قطعية الصدور، وهذا القول

باطل من أصله، اذ كيف يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواهـا واحد عن واحد، ولا سيما ان في رواة الكتب الأربعة من هو معروف بالكذب والوضع)[١٦].

ومما يؤكد بطلان دعوى القطع بصدور أخبار الكتب الأربعة عن الأئمة المعصومين (ع)، اختلاف هذه الكتب في الاسانيد والمتون. ومما يجب ذكره بأن الكتب الأربعة في الحديث عند الشيعة الامامية على سعتها لم تستوعب جميع الأحاديث الواردة على الأئمة (ع)، والتي كانت متداولة ومدونة من بعض الكتب والاصول، وقد جاء كتاب (وسائل الشيعة) للحر العاملي محمد بن الحسن بن علي المشغري المتوفى عام ١١٠٤هـ ليستوعب جميع الأحاديث ومنها الأحاديث المودعة في الكتب الأربعة، فيقول الحر العاملي: (ولم أنقل فيه ـ أي كتاب وسائل الشيعة ـ الأحاديث إلا من الكتب المشهورة المعول عليها التي لا تعمل الشيعة إلا بها، ولا ترجع إلا اليها، مبتدئا باسم من نقلت الحديث من كتابه ذاكراً للطرق والكتب وما يتعلق بها في آخر الكتاب ابقاء للاشعار بأخذ الاختبار من تلك الكتب، وحذراً من الاطناب ولم اقتصر فيه على كتب الحديث الأربعة، وان كانت أشهرها مما سواها بين العلماء لوجود كتب كثيرة معتمدة من مؤلفات الثقات الاجلاء، وكلها متواترة بالنسبة إلى مؤلفيها لا يختلف العلماء ولا يشك الفضلاء فيها، وما انقله من غير كتب الأربعة اصرح باسم الكتاب الذي انقله منه)[١٧]

ثانياً: علم الرجال

يتبع في العدد القادم

هوامش البحث

(١) ينظر الشيخ البحراني: لؤلؤة البحرين ص٢٩٤ ـ ص٣٩٥، السيد الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٢٨٨، الشيخ النوري: خاتمة المستدرك ٣/٧٥٦ـ٧٥٧.

(٢) ينظر: Mafizullah Kabir. The Buwayhid Dynasty of Baghdad، P.212 Encyclopaedid of Islam، Vol.1 P.1352

(٣) دونلدسن: عقيدة الشيعة/٢٨٦.

(٤) الحسني: المبادئ العامة للفقه الجعفري ص١٠١

(٥) العاملي: منتقى الجمان ١/٢١.

(٦) الكليني: الكافي ١/٥٥.

(٧) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ١/٣.

(٨) الخوئي: معجم رجال الحديث ١/٤٠.

(٩) بحر العلوم: الرجال ٤/٧٧.

(١٠) الطوسي: تهذيب الاحكام ١٠/٤.

(١١) الاردبيلي: جامع الرواة ٢/٤٧٠-٤٧١.

(١٢) الحكيم: الاصول العامة للفقه المقارن ص١١٤.

(١٣) الشيخ الطوسي: عدة الاصول ص٣٤.

(١٤) كاشف الغطاء: كشف الغطاء عن خفيات مبهمات ص٤٠.

(١٥) الطريحي: جامع المقال ص١٥.

(١٦) الخوئي: معجم رجال الحديث ١/٣٦.

(١٧) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١/٣.

(إلى ابرهة: قطعان أحفادك دنّسوا واحتنا.. حاولوا مثل ما حاولت وقتلوا أشرف مما قتلت).

شجرة زيتون كبيرة تنتصب في حديقة بيت جاري أستفيئ بظلها وبلبل مهذار في قفصه المعلق تحت تلك الشجرة، يسبغون عليه اهتماماً خاصاً من حيث مأكله ومشربه ونظافته.. صوته، تغريده يشنّف سمعي كلما دخلت أو خرجت من بيتي.. هذا كل ما يصدر عن بيتهم.. ولكن في ظهيرة هذا اليوم سمعت ضربات أبواب بيتهم مع وقع أقدام متراكضة شكلت نوتات سمفونية نار مرتبكة، سمفونية ربطت أوصالها أصوات مخنوقة وهمهمات مكبوتة.. تنامت وتصاعدت.. فاستفزتني، دفعتني للهرولة.. فتحت باب داري، مرق أمامي قط أجرب يحمل في فمه طير صغير لم أتبين هويته.. في باب بيتهم شاهدت جاري فتسمرت.. نخلة سرقوها تاجها يتكئ على دعامة باب الحديقة.. يترنح مثل ناطحة سحاب ضربتها هزة أرضية فاقت درجات رختر بشدتها، يحاول التماسك والتمسك بعصاه المقرورة في هجير هذا اليوم القائض.. عقاله حول رقبته وروافد العرق الممزوج بدموعه تنساب بين ثنايا أخاديد وجهه الكالح ـ كما لم يكن من قبل ـ ممزق الكبرياء، يستطلع جانبي الطريق بعينين غائرتين لا يستقران على هدف.. شفتاه متدليتان مرتجفتان... تجسدت فيه الوحدة كقطرة مطر.. قبل ان أفتح فمي، استقطب صوتها ـ واهن كما

لم يكن ـ كل حواسي... هيكل أسود، تفترش الأرض وتستند عليها بكلتا يديها كالمتشبث بلوح خشبي في بحر هائج.

ـ (ألا يأتي؟! أكثر من ثلاث ساعات مرت على الانفجار ولم يأت.. لم يستجب لندائي.. لم اعهد منه هذا) هل هي تحدث نفسها أم تكلم زوجها؟ بألم ورجاء متخاذل شددت: (آه يا ولدي أطفأت عطش المصلين فمن يقتل عطشي..) آهتها صعقتني حطمت مفاصل عقلي وتشظّت في كل حنايا جسمي، أحسستها تمثل عصارة آهات أمهات المعدومين والمغيبين والمشردين في متاهات الأرض الموبوءة بالقَتلة بل هي صدى للآهات المنبعثة من تحت تراب المقابر الجماعية. حولت وجهها نحونا وتساءلت (أين هو الآن؟! أخبرني أهلي ان من بعض مخلفات الانفجار أكداس من أشلاء عباد الله قطعٌ منها تَسأل عن ماضيها.. وجوه تفحمت فقدت هويتها، جدران تهدمت وتحولت إلى ركام أحمر، محلات احترقت.. وسماء اسودت وأمطرت تراباً وشظايا وقطع من أجساد الزوار والمصلين).

استدار نحوها، همّ بالحركة.. لم يتمكن فوجه لها النصيحة: (اذكري الله واتشحي بالهدوء.. لم يخرج من هنا أشراً ولا بطراً بل خرج في سبيل الله طاعةً وتعبداً.. توجهي إلى الله بالدعاء له) سحب جسده متثاقلا إلى الجدار. سكت هنيهة ثم أضاف (أرسلت الكثير من أصدقائنا ومعارفنا إلى مستشفيات المدينة والمدن المجاورة).

كل عقبات الواقع تتهاوى أمام حلم الضامئ لرشفةِ ماءٍ ترويه.. يمسح من قاموس كلماته كل ما يعني ربما أو علّ وعسى.. يشهر سيف الحاجة ويمتطي صهوة خيالاته ليجوس بها أعماق الغابات الأمزونية رائدٌ يبحث عن أمل، على هيئة ماء.. وها هي على صهوة جواد خيالاتها تحدث نفسها: (ألا تحميه عدته!! بل تحميه السطل والطاسة ودعاء المصلين في هذه الظهيره المحمرّة، حجابات تدفع عنه كل مكروه).

سكتت ثم كالمتذكرة أضافت (أول الشهر، والشهر رجب المرجب وأول جمعة منه وبحمى أمير المؤمنين). سمعها ضرب الأرض بعصاه.. التقت عيناي بعينيه، تزامنتا وتوافقتا في مسح الأرض، توقفتا عند القفص.. مرميٌ على الأرض مشوّه الاسلاك مقلوب مخلوع الباب وإناءه الخزفي مهشم. أمعن النظر إلى القفص ثم رفع رأسه إلى موقع التعليق في الشجرة.. أسند رأسه إلى الجدار متأملا وعيناه لم يفارقا موقع تعليق القفص وهو يكلمها: (ولدنا في واحةٍ تغبطه عليها الملائكة.. فلا تحزني ولا ترتابي ولا تجزعي فالخير فيما يختاره الله).

فجأة توقفت سيارة، ترجل منها شاب يحمل بيده ساعة معفرة بالدم والتراب مع محبس فضي، ودمعة حزينة على خده. تلقّف جاري الساعة، أمعن النظر فيها، كفكف دمعته، انتصب كطودٍ شامخ ينحني له الكبرياء.. ثبت عصاه.. تورد وجهه وأحاطته هالة من نورٍ بهي وتسائل بصوت مسموع عميق وهادئ: (هل هذا كل ما تبقى منه؟) لم ينتظر جواباً.. أخذ نفساً عميقاً.. يمّم وجهه نحو السماء ورمى الساعة المعفرة بالدم والتراب إلى الأعلى وهو يتمتم بخشوع وخجل (اللهم أقبل منّا هذا القربان) ■

النقد الأدبي وعلم اللغة

* هادي رزاق الخزرجي

توجد مجموعة من العوامل الإنسانية، والطبيعية التي تؤثر في لغة ما سلباً، أو إيجاباً، كإحتراف مهنة، أو معايشة أقوام أخرين ذوي لهجة قريبة من اللغة الأم، أو الخضوع لتأثيرات الموضع الجغرافي بالنسبة إلى ساكني الجبل، أو الجزيرة؛ كل ذلك يحمل في طياته بذور التغيير في الهيكل اللغوي؛ والسؤال هو: هل يمكن ان يعد النقد الادبي احد المؤثرات الانسانية في اللغة بشكل عام؟

من البديهي أن الكثيرين يعولّون على النقد الادبي لفوائده الكثيرة، فهو يملأ الآن فراغات مهمة من صفحات المجلات، والجرائد؛ إنه شرح دستوري لوظائف الانسان، ودور الطبيعة عبر ماينتجه لقاء هذين القطبين من فن، وأدب. النقد يستعمل اللغة الأدبية نفسها لشرح الاعمال الفنية، ولكنها لغة مخصبة بالمصطلحات، وفيها تركيز، وتكثيف كأنها لغة علمية محضة، وهي أيضاً ممزوجة بنكهة من أحلام اليقظة يفيد منها الناقد؛ فهي كالايقاع الذي يفجر الطاقات لإكتشاف الابداع في ثنايا الموضوع. وما يهمنا هو الحديث عن تأثير النقد الادبي، عبر ما تضيفه لغته العلمية، في قضايا علم اللغة العام Linguistics.

إن الاجراء النقدي Critical Procedure عملية إبداعية متميزة لا تقل شأناً عن العمل الأدبي، أو الفني، ولو أنها تأتي متأخرة عنه، فهي من حيث الكشف بعصا سحرية عن مواطن الابداع، والفن الراقي في موضوع البحث تعبير شائق له نظام من اللغة الخاصة به، وخارطة من المصطلحات، فهو موضوع خصب له إمكانيات تعبيرية مدهشة، وذلك لسبب رئيس هو ان النقد يتماس مع تخوم مواطن أحلام الكاتب التي قد لم يطأها، وفي الوقت نفسه مع ما يبحث عنه القارئ، ويرنو اليه في شعوره.

إن تولي الناقد للمسؤولية في تطمين القارئ بنية الكاتب لاشك أنه يحتاج الى لغة ذات قدرة فائقة على الوصول إلى لحظة التزامن بين الكاتب، والقارئ عبر الاحساس نفسه بلحظات العيش في مملكة الطفولة، والتحليق مع العناصر الإثرائية كابداع الايقاع الداخلي للنص نحو تحقيق الآمال ذهنياً،

وربما لأرقى من ذلك كحصول التطهير Catharthis الذي قد يحصل من ممارسة النقد، وفي أثناء قراءته، كما يحصل من ممارسة كتابة الفن الروائي، أو المسرحي، أو السينمائي، وفي أثناء قراءة، أو مشاهدة هذه الفنون.

ولهذا نرى توهج اللغة بشكل غريب، وأنها تبدو مشحونة بقوة كأنها تعويذة لا يمكن الفرار من التصديق بسلطتها على العقل، والروح؛ وبذلك يمكننا القول: إن مرجع تلك السلطة على العقل الانساني هو الجسر اللغوي الذي يبنيه الناقد، فهو لا يستعمل لغة اعتيادية بل لغة تقنية، والدليل هو الغموض الذي يصيب بعض النصوص النقدية المعاصرة، وبخاصة عند نقد الشعر حين يفرط الناقد بالاستزادة من قوة لغته حيث يصعب التواصل مع الوهج، والمعنى المنبثق منها؛ كأنك تقرأ امتداداً للقصيدة نفسها مكتوباً بالطلاسم الحالمة، أو انها منجم للكلمات، والتعبيرات المركبة تركيباً لغويا نشيطاً بالامكان استشعار فوائده اللغوية الناتجة من استمرار تطوير الحس الشعري، أو القصصي لدى الكاتب، وتهيئة القارئ، وتثقيفه بترقيته عبر المستوى اللغوي الجديد للتجلي امام النص، وانبثاق الاحلام عنه.

ويعود النقد الادبي بفائدة لغوية حين يحمّل الكلمات الجديدة، والمصطلحات بطاقات، ومعانٍ رمزية تؤدي دوراً يؤثر في اللغة، وربما يعلو بها إلى مستوى اكثر رقياً، وسمواً، وينقيها من الشوائب، أو تحمي القيم، وعباراتها من الاندثار الحاصل بفعل التغير المستمر. وبذلك تثقف القارئ، وتزيد من وعيه، وإقباله على الحياة عبر الفن، والأدب بشكل اكثر فهماً، وهو ما يؤدي إلى رقي احساسه بلغته ■

قبس.. من هدي آل البيت (عليهم السلام)

* طالب علي الشرقي

حينما يتجسد الحق في مقولة فإنها تسمو. والحق عنوان كبير تنضوي تحته كل نقائض الباطل وأولها الصدق والأمانة وحب الغير والسعي لتحقيق الفضيلة والعدل.

والنفوس الصافية لا يرويها غير قراح النبع، ولا يشفيها غير نفحات الطهر المحمدي وآل بيته المطهرين عليهم السلام.

إن الأقوال المأثورة والأحاديث الشريفة المروية عن النبي الكريم محمد(ص) وآل البيت الأطهار عليهم السلام هي الأنوار التي تنير لنا الطريق، وتدفع عنا غائلة الإنسان وراء الأوهام والتخبط في عتمة الأيام، ففي أقوالهم الحكمة والهداية والعلم بأسلوب مشرق وعبارة موجزة.

إننا في تعرضنا لأحاديث الصفوة لا نريد أن نكتب بحثاً أو دراسة بل يكفينا إشارة عابرة نقف عندها على هدف سام أو مبدأ عام. فمن الأحاديث النبوية الشريفة اخترنا الحديث الشريف الآتي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(ليس منّا من غش)**[1].

إن من أساسيات اللطف الإلهي في بعث الرسل والأنبياء وضع المكلفين على

طريق الحق وحثهم على التمسك بالأخلاق الفاضلة. وحين ختم الله الأديان بالإسلام العظيم أقرّ الإسلام الكثير من أخلاق العرب الحميدة، وأغلبها موروث ومعروف ويشكل القاعدة التي تنهض عليها العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السليمة وأضاف إليها ما يكملها حتى قال رسول الله ﷺ: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**).

والإسلام شريعة كاملة لكامل البشرية، ولتمام الفترة المحصورة بين البعثة المحمدية الشريفة وبين يوم الحساب الأكبر. وعلى الناس كافة اعتناق الدين الجديد (**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**) آل عمران ٨٥.

واذا كان القرآن المجيد مليئاً بالحث على اتباع أحسن السبل للوصول إلى علاقات إنسانية راقية بين الناس تضمن لهم حسن العشرة والتعاون والمحبة والتكافل، والالتزام بالأحكام وعدم التجاوز على حقوق الآخرين المادية والمعنوية، فان السنّة النبوية المطهرة أكدت هذا المنهج قولا وعملا، وورثنا كنزاً عظيماً من الأحاديث النبوية الشريفة المكرسة للتربية الأخلاقية وتقويم السلوك. منها: قوله(ص): (ليس منا من غشنا).

وقد ورد الحديث الشريف بنص آخر هو: (من غشنا فليس منا) وظاهر هذا النص يفيد التخصيص، وتضييق الدائرة وجعل الأمر خاصاً بالمسلمين دون باقي الناس. أي ليس من المسلمين (بدلالة الضمير «نا») من غش المسلمين (وبنفس الدلالة) وهذه الخصوصية يتولد مفهوم آخر لا يمنع المسلم من غش غير المسلم، ولما كان الإسلام لا يتسامح مع الغش والغشاشين أصلا فيكون النص الأول شاملا، ويتفق مع روح الدين القيم. وبهذا التوجيه يحصّن الإسلام المسلمين ضد مبدأ مرفوض ويسمو بهم إلى مراقي العدل والإنصاف.

وخير ثمار هذا النهج ما ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام بقوله: (**يا بني أحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم**...) نهج البلاغة.

والغش في لغتنا العربية الشريفة يقابل النصح، وهو ينتمي إلى عائلة الخداع والخيانة والظلم.

فإذا زلّت قدم المسلم عن الصراط وانحدر في مهاوي الضلال فانه يُظهر خلاف ما يضمر ويزين الرديء ويخادع ويدلّس، فيوقع الأبرياء في حبائله. فانه ليس من المسلمين على لسان النبي الكريم ﷺ.

وليس في الغش اختصاص بعمل معين أو سلوك محدد بل هو عام شامل لكل مناحي الحياة المادية والمعنوية، وحين يصطدم الأمر بعواطف الناس ومصالحهم المادية فانه يترك آثاراً غاية في السوء، ويقطع على الناس سبيل المعروف والتعاطف والنصيحة. فيسود الكذب الممقوت، وهو أوسع أبواب الباطل، ويتصدع العدل وتضيع الحقوق ويتضرر البسيط من الناس، ويختلط الحلال بالحرام

وترتفع الرحمة من القلوب وتُبت حبال الدين. عند ذلك نصل ـ إذا كان الغش طريقنا ـ إلى الدرك الأسفل من التباغض وفقدان الثقة، ونخسر أقوى وازع يحكم علاقاتنا وينظم سلوكنا ويهدينا إلى الخير والصلاح بدلا من الخداع والسرقة المقنعة وامتصاص الدماء المحرمة.

إن في أخلاق الإسلام تكمن السعادة الدنيوية، والنجاة الأخروية، فمن آمن وعمل ورضي بما أنعم الله عليه في الدنيا فانه سيحظى بنعيم الداريـن والله لا يضيع أجر الصابرين.

وروي عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (**من لم يقهر جسده كان جسده قبراً لنفسه**)[٢].

اتفق العلماء على أن الإنسان جسد ونفس. قال صاحب الميزان في تفسير القرآن: (الإنسان حينما أنشئ مركّباً من جزأين ومؤلفاً من جوهرين: مادة بدنية وجوهر مجرد هو النفس).

وفي الجسد الدوافع والغرائز الفطرية. فإذا أطلق العنان للجسد غرق في وحل الشهوات وغاب في غياهب الضلالات، وخمدت فيه جذوة الخير وتعطلت طاقة النفس العاقلة، ووقعت في أسر الشعور بالمتعة الزائلة، وأضاعت طريق الرشاد وأصبحت كأنها قد فقدت الحياة بفقدانها التأثير والردع.

فإذا جاهدت النفس الخيرة الجسد قهرته، واحتوت نزواته وطوّعته لعمل الفضائل. وقد منّ الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين بان جعل لهم في شرعته السمحاء ما يضمن لهم تحقيق التوازن بين النفس والجسد بان أوجب عليهم فرائض وحبب إليهم أفعال وحرّم أو كرّه لهم غير ذلك. ومن فرائضه الكبرى الصلاة، وقد وصفها بقوله جل من قائل: (**الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) العنكبوت ٤٥.

والى جانب ما للصلاة من حكمة في تقديس الله وطاعة لأوامر الله وإظهار لدين الله، فوائد جمة ظاهرة وغير ظاهرة تتناول النفس والجسد، ولكنها للنفس أخص تغشيها بأنوار الإيمان وتروضها على الالتزام والصبر والخشوع والتضرع للبارئ (عز وجل). ولا يخفى ما للصلاة من أهمية في حياة المسلمين أفراداً وجماعات حتى جعلها الله من الممارسات اليومية في الليل والنهار بأوقاتها المعروفة، لإدامة الصلة بالله تعالى، وإيقاظ النفوس كي تأخذ دورها في توظيف قدرات الجسد لفعل الخير والصلاح.

ولأجل اختبار النفوس المؤمنة ومعرفة درجة إيمانها وتحملها وقدرتها على قيادة الجسد وتوجيه بالاتجاه الأفضل، فرض الله تبارك وتعالى الصوم وجعله شهراً كاملا ولم يجعله دائماً كالصلاة لما فيه من عناء وشدة. والصوم بهذه الصفة يحتاج إلى نفوس صادقة الإيمان، قوية الإرادة، قادرة على لجم جموح الجسد ومنعه عما تعوّد عليه من لذائذ ومتع.. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى السيطرة على الجوارح كلها عملا بالحديث الشريف: (من صام صامت جوارحه).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (**إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحدهما، فإذا أصبحتم فاحفظوا ألسنتكم عما حرّم الله، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا... ولا تغفلوا عن ذكر الله...**).

وقد كثرت الأحاديث والأقوال عن الرسول محمد(ص) والأئمة الأطهار عليهم السلام في الصوم والصائم وكلها تناشد النفس المؤمنة وتحثها على قيادة الجسد ومنع الجوارح من الشطط والانحراف. وذلك لان النفس البشرية هي الأخرى تحتاج إلى وسائل الترويض والتوجيه لكي تؤدي الدور المطلوب منها. فالفرد يمارس في حياته قبل التكليف وبعده أموراً تدخل في كيانه الجسدي والنفسي معاً وتكتسب اغلب تصرفاته صفة العادة. والعادات على رأي علماء النفس والاجتماع يصعب تخطيها بيسر، ناهيك عن تأثير الانقطاع عن الأكل والشرب وسواهما من مستلزمات الحياة اليومية، إلاّ إذا توفرت للنفس قوة قادرة على كبح الغرائز والحاجات الجسدية بقناعة ورضا وإيمان بصحة الفعل. علماً بان الصوم عبادة غير ظاهرة ويمكن لأي شخص إن يدعيها رياءً، مما دعا إلى إظهار الثواب المترتب على الإنجاز الصحيح واعتباره من الأعمال التي تؤدى لوجه الله خاصة وهو الذي يتولى الإثابة عليه. قال تبارك وتعالى في الحديث القدسي: (كل أعمال بني آدم بعشر أضعافها ـ إلى سبعمائة ضعف ـ إلاّ الصوم فانه لي وأنا أجزي به).

وورد عن رسول الله محمد(ص) أنه قال: (**من صام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه**).

إن الحكمة من وراء ذلك ـ حسب الظاهر ـ لا تنحصر في مجال بعينه، فإلى جانب تحمل الجوع والعطش في ظروف قد تكون قاسية، والامتناع عن الأمور الأخرى، والشعور بضغط الحاجات الجسدية عند من لا يقدر على تحصيلها من الفقراء والمعوزين، وتأدية الفريضة الدينية تقرباً إلى الله تبارك وتعالى تعبداً وطمعاً في الأجر والثواب، فان هناك أهمية مضافة عالية القيمة تنحصر في تهيئة النفس للاستجابة والصبر المطلوبين لتنفيذ الأهم والأصعب من الأوامر الإلهية التي قد يصل بعضها إلى واجب الجهاد والتضحية بالنفس بعد النفيس مما يتطلب درجة عالية من الإيمان والدربة على تحمل المكاره والصعاب. وفي الصوم درجة أو درجات من ذلك. وهنا يظهر الهدف الذي أراده الإمام عليه السلام لإصلاح الأنام نفساً وجسداً، وان لا يكون الجسد سبباً في تعطيل النفس عن واجبها فكأنه قد قتلها وصار قبراً لها. والفرد بهذه الحالة لا يختلف عن المخلوقات التي لا يشملها التكليف ■

الهوامش

(١) رواه مسلم والترمذي وابو داود. وانظر التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول ج٢ ص١٩٦.

(٢) الف كلمة لأمير المؤمنين/ مؤسسة الاعلمي في كربلاء ص٥.

أبو جعفر الدوريستي..
العالم المدرس

* كاظم عبود الفتلاوي

من القرى التي دخلت التأريخ وأرخ لها البلدانيون قرية تدعى (دوريست) القريبة من مدينة (الري) ـ طهران اليوم ـ والتي تبعد عنها فرسخين (١١ كم).

فقد نبغ فيها عدد من الأعلام خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، مما جعلها تشتهر ويقصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب للاستفادة ممن بها من العلماء.

وقد استوطنتها أسر متعددة، كان أبعدها صيتاً، وأوفرها حظاً من العلم، أسرة تعرف بـ(آل فاخر) عربية الأصل من ذرية الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان العبسي (رضي الله عنه).

فأول من نبغ من هذه الأسرة أبو جعفر محمد بن أحمد بن العباس بن الفاخر العبسي الدوريستي، الفقيه العالم الفاضل، تلميذ الشيخين (الصدوق) و(ابن عياش)، والمتوفى حوالي سنة ٤١٠هـ ورثاه السيد المرتضى بقصيدة مثبتة بديوانه. ثم ولده أبو عبد الله جعفر وأولاده وأحفاده.

وآخر من عرفنا منهم الفقيه الجليل المحدث نجم الدين أبا محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس المتوفى بعد سنة ٦٠٠هـ روى عن جده محمد بن موسى وغيره، وروى عنه كبار الطائفة أمثال (ابن إدريس) و(فخار الموسوي) و(محمد المشهدي) و(قريش العلوي) و(عربي بن المسافر العبادي) وغيرهم.

وأشهر أفراد الأسرة الجليلة هو:

أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس بن الفاخر العبسي الدوريستي. عالم فاضل، ثقة عين، عظيم الشأن، جليل القدر، من كبار علماء الإمامية. ولد في قرية (دوريست) سنة ٣٨٠هـ ونشأ بها على والده نشأة حسنة، فغذّاه من علمه، وأسمعه الحديث وحببه اليه،

فشبَّ توّاقاً للعلم، ورحل في طلبه إلى البلاد القريبة والبعيدة، مثل (بغداد) و(نيسابور) والمشاهد المشرفة، وتوجه إلى حجّ بيت الله الحرام مروراً بالنجف الأشرف سنة ٤٥٣هـ فمكث به يسمع على أعلامه، ويسمع منه الفضلاء، ثم حجّ البيت ورجع إلى قريته ريان من العلم، فاشتهر أمره، وعلا صيته، فصارت الرحلة اليه، وقصده طلاب العلم الشريف، حتى تخرج عليه العشرات من النوابغ والفضلاء، واستفادوا من أنفاسه الشريفة.

ويروى أن الوزير نظام الملك الطوسي المتوفى سنة ٤٨٥هـ كان يقصده من (الري) إلى (دوريست) في كل أسبوعين مرة يقرأ عليه، ويسمع منه الحديث، ويتبرك بأنفاسه.

أساتيذه:

١. والده.
٢. أبو عبد الله محمد بن محمد الشهير بالشيخ المفيد.
٣. أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي الشهير بالمرتضى.
٤. أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي الشهير بالرضي.
٥. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة.
٦. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهري.
٧. أبو علي الحسن بن محمد الشهير بابن أشناس البزاز.
٨. أبو عبد الله أحمد بن عبد الواحد الشهير بابن عبدون.
٩. جعفر بن أحمد بن علي المؤنسي القمي.
١٠. أبو عبد الله محمد بن بكران بن عمران البزاز البغدادي.

تلاميذه:

١. أبو محمد الحسن بن حسولة بن صالحان القمي الخطيب بالجامع العتيق.
٢. أبو القاسم زيد بن محمد بن الحسين البيهقي.
٣. أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله المقرئ الرازي.
٤. أبو الحسن علي بن أبي طالب مهدي الحسيني السليقي الآملي.
٥. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن الغروي.
٦. أبو البركات محمد بن إسماعيل الحسيني المشهدي.
٧. أبو جعفر محمد بن علي بن عبد الصمد التميمي النيسابوري.
٨. أبو تراب المرتضى بن الداعي الحسني.
٩. أبو حرب المجتبى بن الداعي الحسني.
١٠. أبو جعفر مهدي بن ابي حرب نزار الحسيني المرعشي.
١١. أبو عبد الله هبة الله بن دعويدار القمي.
١٢. أبو السعادات هبة الله بن علي الحسيني الشهير بابن الشجري.
١٣. حفيده محمد بن موسى بن جعفر الدوريستي.
١٤. أبو القاسم المرزبان بن الحسين بن محمد

الشهير بابن كميح.
١٥. أبو جعفر بن الحسين بن محمد الشهير بابن كميح.
١٦. أبو جعفر محمد بن الحسن بن محمد الهمذاني.
١٧. أبو القاسم الحسن بن محمد الحديقي.
١٨. أبو سعد الحسن بن علي الأرابادي.
١٩. أبو الحسين أحمد بن محمد المرشكي.
٢٠. أبو عبد الله الحسين بن الحسن المؤدب القمي.
٢١. أبو الحسن محمد بن الحسن بن إبراهيم القمي.
٢٢. أبو منصور علي بن عبد الله الزيادي البيهقي.
٢٣. أبو بكر الحسن بن يعقوب النيسابوري.

مؤلفاته:

١. الرد على الزيدية.
٢. كتاب الحسنى.
٣. عمل يوم وليلة.
٤. كتاب الاعتقاد.
٥. الكفاية في العبادات.

وفاته:

بعد عمر طويل قضاه في خدمة العلم وأهله، توفى في قريته (دوريست) سنة ٤٧٥هـ وأبقى له العقب الطيب، والذكر الحسن رحمه الله.

ملحوظة:

أخطأ جماعة كثيرة من المحققين والرجاليين بنسبة رواية الشيخ شاذان بن جبرئيل القمي عن المترجم له، وأول من تنبه لذلك العالم المحقق الشيخ حسن العاملي صاحب (معالم الدين) في إجازته الكبيرة.

فلا يمكن رواية من كان حياً سنة ٥٩٣هـ عمن توفى سنة ٤٧٥هـ وكذا رواية السيد فضل الله الراوندي المتوفى سنة ٥٧٢هـ عنه، ولي تحقيق على هذا الموضع في غير هذا المقال ■

حل مسألة: ذكاء

ينقل القرص (١) إلى العمود ب. ثم ينقل القرص (٢) إلى العمود ج. وينقل القرص (١) إلى العمود ج. و ينقل القرص (٣) إلى العمود ب. ثم ينقل القرص (١) إلى العمود أ. وبعد هذا ينقل القرص (٢) إلى العمود ب. وأخيراً ينقل القرص (١) إلى العمود ب.

فيكون عندك الشكل الهرمي المطلوب في العمود (ب).

فقه المرأة المعاصرة

الحلقة الأولى

* فلان بن فلان
مطابقة لفتاوى
سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الكبير
السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم

مقدمة

مارس فقهاء الطائفة الإمامية منذ زمن ليس بالقصير عملية (الاجتهاد)، الذي يعني بذل الجهد في الوصول إلى الحكم الشرعي من منابعه الأصلية والحفاظ عليه كأمانة يسأل الله تعالى المجتهد عنها، سعياً للتوصل إلى مستوى من المعرفة الدينية الموصلة إلى مصاف الفهم الحقيقي للإسلام الأصيل المتمثل بخط أهل البيت(ع).

ولقد عايش علماء الشيعة تطور الفهم الفقهي الاجتهادي حسب تطور الزمان والمكان بما يحفظ للشريعة طراوتها ومرونتها، محافظين في الوقت نفسه على توازنهم واصالتهم بعيداً عن أي شكل من أشكال الافراط والتفريط.

إن مما تميّز به العقل الاجتهادي الشيعي الإمامي هو الابداع وعدم الجمود والتحجر والنظر إلى الأمور بواقعية وانفتاح مرتكزين على معطيات العقل السليم والتفكير المعتدل سعياً لايجاد المناخ الأفضل لولادة الحكم الشرعي ولادة سليمةً، خاليةً من التشوهات التي قد تلحق به.

كما تميّزت هذه الطائفة بـ(التقليد) الذي هو عبارة عن رجوع من لا طريق له ولا معرفة بالحكم الشرعي ـ الذي يُعتبر مسألةً شاقةً وصعبةً ـ إلى من وصل إليه وحاز على مرتبة عالية من الفهم الفقهي، كرجوع من لا خبرة له بالطب إلى الطبيب لأجل العلاج مثلاً، أو المهندس أو ... الخ. وهو في النهاية رجوع من لا خبرة له بالشيء إلى الخبير، وهو لعمري سنةٌ من سنن البشر، وطريقة فُطِر عليها الإنسان على أي دينٍ كان، في أي مكان... وفي أي زمان.

ولم تميّز الأحكام الشرعية

الإسلامية بشكل عام والإمامية بشكل خاص بين الذكر والأنثى في النظرة التشريعية، فالرجل يساوي المرأة في كثير من الأحكام كـ(الصلاة، الصوم، الحج...)، ولا تختلف المرأة عنه إلاّ فيما اختصت به المرأة بحكم طبيعتها وتكوينها الجسدي الذي خلقها الله تعالى عليه. وهذا ليس عيب في المرأة ولا في الأحكام بل هو جزء من كمالها الذاتي باعتبار أنوثتها كامرأة فلم تفرد الأحكام الشرعية أبواباً خاصة بالمرأة لنقص في تكوين المرأة. بل لأن المرأة مختلفة تكويناً وذاتاً عن الرجل (وليس الذكر كالأنثى).

ومن هنا كانت هذه المبادرة إلى نشر هذه المقالات (من فقه المرأة) الذي سعينا جاهدين لأن يحوي بين طياته مجمل أحكام النساء بطريقة ميسرة للفهم، خالية ـ جهد الإمكان ـ عمّا يعقد فهم القارئة لكي يكون في متناول يد المرأة المسلمة السائرة على هدى أهل البيت(عليهم السلام) وقد جاءت مطابقة لفتوى سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)، لفائدة الأخوات اللاتي يقلدن سماحته (حفظه الله تعالى).

التقليد

س ـ هل يجب على المرأة أن تقلد؟

ج ـ نعم، يجب على المرأة أن تقلد في جميع عباداتها ومعاملاتها وسائر أفعالها وتروكها، ما لم تصل إلى مرتبة الاجتهاد الفقهي يجوز لها التقليد أو تحتاط في أفعالها بأن تتحفظ على التكليف في مورد احتماله. فإن أفتى بعض المجتهدين بحرمة التدخين ـ مثلا ـ وأفتى بعضهم بحليته، تركت التدخين.

س ـ متى تبلغ المرأة وبالتالي متى يصح منها التقليد؟

ج ـ تبلغ المرأة ويصح منها التقليد ـ بل يجب ـ عند إكمال تسع سنين قمريّة.

س ـ هل يجوز للمرأة أن تقلد المجتهد الميت ابتداءً؟

ج ـ لا يجوز تقليد الميت ابتداءً.

س ـ إذا بلغت المرأة مرتبة الاجتهاد فهل يجوز لها التقليد؟

ج ـ لا تقلد بل تعمل وفق اجتهادها.

س ـ بأي شروط يمكن تقليد المجتهد ويكون تقليده مبرئاً للذمة؟

ج ـ يشترط فيه:

١ ـ الذكورة[١].

٢ ـ طهارة المولد[٢].

٣ ـ العقل.

٤ ـ الإيمان: وهو الاعتقاد بإمامة الأئمة الأثني عشر من أهل البيت(ع).

٥ ـ العدالة: بأن يكون متقياً لله تعالى بمرتبة عالية من التقــوى متحذراً من معاصيه صغيرها وكبيرها، ولو غلبته نفســه نادراً فعصى أســرع للتوبة وعصم نفسه بها.

٦ ـ الأعلميّة: بمعنى انه إذا اختلف المجتهدون في الفتوى، فإن كان أحدهم متفوقاً على الآخرين بمرتبــة معتــد بها وجــب اختياره، ومــع عدمه فالأحوط وجوباً العمل بأحوط الأقوال، ومع تعذر ذلك أو تعســره ـ كما هو الغالب ـ فاللازم اختيار الأعلم ولو بمرتبة ضعيفة، ومع التســاوي بينهما يترجح الأورع، ومع عدمه يتخير بين المجتهدين، فيقلد أحدهم، ويعمل بفتاواه.

٧ ـ الحياة.

س ـ هل يجب على المرأة البحث عن الأعلم[٣]؟

ج ـ نعم يجب عليها الفحص عن الأعلم.

س ـ كيف يثبت لها أن المجتهد المعين هو الأعلم؟

ج ـ يثبت ذلك بالعلم الناشيء من المخالطة والاختبــار أو من الشــياع أو غيرهما ومع عدمه يكفي فيه شهادة الثقة من أهل الخبرة، إذا استندت إلى الاختبار ونحوه مما يلحق بالحس، ولا يكفي اســتنادها للحدس والتخميــن، ومع اختلاف أهل الخبرة تسقط شهادتهم.

س ـ إذا مضت على الفتاة مدّة من بلوغها وشكت بعدها فـي أن أعمالها كانـت عن تقليد صحيح أم لا فما هو حكمها؟

ج ـ يجوز لها البناء على الصحة في أعمالها السابقة وفي اللاحقة يجب عليها التصحيح فعلاً.

س ـ هل يجب على المرأة أن تتعلم مسائل الشك والسهو التي هي معرض ابتلائها؟

ج ـ نعم، يجب.

الطهارة

أحكام الخلوة، الاستبراء

س ـ هـل يجب على المراة الاسـتبراء[٤]؟

ج ـ لا استبراء على المراة، والبلل المشكوك الخــارج منها محكوم بالطهارة فلا يجب الوضوء منه إلاّ ان تعلم باشتماله على البول.

س ـ هل هذا يعني أنه لا توجد طريقة للاستبراء؟

ج ـ الأولى لهــا أن تصبر قليلا وتتنحنح ثم تعصر موضع البول عرضاً وتستنجي بعد ذلك.

الوضوء

اعضاء الوضوء

س ـ هل تجب إزالة الأصباغ التي تضعها النســاء عــادةً علــى أظافرهــن أو حتــى الدهن الــذي يوضــع للتــداوي قبــل الوضــوء أم لا؟

ج ـ تجب إزالة الصبــغ أو الدهن ونحوهما ممــا يوضع للزينة أو التداوي أو غيرهما إن كان له جرم[٥] يمنع من وصول الماء إلى البشرة.

س ـ وإن لم يكن له جرم؟

ج ـ إن لم يكن كذلك للطافته ورقته أو لنفوذ الماء فيه فلا يجب إزالته، بل يحتزأ بالغسل عليه مع بقائه.

س ـ وكيف أفعل مع الوسخ؟

ج ـ وكذا الحال في الوسخ، يعني: ان لم يكن

له جرم للطافته ورقته أو لنفوذ الماء فيه.

الغسل

الجنابة، سبب الجنابة

س ـ ما هو سبب الجنابة[٦] عند المرأة؟

ج ـ سبب الجنابة عند المرأة أمران:

١ ـ وهو السائل الذي يخرج من قُبل المرأة عند بلوغ الشهوة ذروتها، وأما ما تراه المرأة من البلل بملاعبةٍ أو نحوها بدون بلوغ الشهوة ذروتها فلا أثر له.

٢ ـ الجماع: ويتحقق بدخول الحشفة[٧] في القُبل، وعلى الأحوط وجوباً تحقق الجنابة أيضاً بدخول الحشفة في الدبر.

س ـ هل أن المرأة يخرج منها المني سواء عند المجامعة أو غير المجامعة؟

ج ـ نعم، قد يخرج منها المني عند المجامعة وبدونها وذلك يكون عند بلوغ الشهوة الذروة، والأحوط وجوباً ترتيب آثار الجنابة عليه، ولا يتم الاحتياط إلاّ بالجمع بين الوضوء والغسل.

غسل الحيض

الفصل الأول: في سببه

س ـ ما هو دم الحيض؟

ج ـ وهو دم خاص يقذفه الرحم بمقتضى طبيعة المرأة يمكن ان تراه في الفترة ما بعد بلوغ تسع سنين قمرية وما قبل بلوغ سن اليأس[٨]، ولابدّ فيه من النزول لظاهر الفرج، ولا يكفي النزل من الرحم إلى باطن الفرج وان كان في الأخير يكفي أمارةً على استمرار الحيض.

س ـ إذا افتضت البكر فسال منها دم كثير وتردد بين ان يكون من دم البكارة أو من دم الحيض أو منهما معاً فماذا تفعل؟

ج ـ تدخل قطنة وتتركها مدّة قليلة ثم تخرجها برفق، فإن كانت مطوقة بالدم من دون ان يغمسها فهو من البكارة، وإن كانت مستنقعة فهو من الحيض.

س ـ ما هو أقل عدد أيام الحيض؟

ج ـ أقل الحيض ثلاثة أيام، والمراد باليوم هنا ما يعم الليل الحاصل بدورة تامة للأرض، لا خصوص بياض النهار.

س ـ ما هو أكثر عدد أيام الحيض؟

ج ـ اكثر الحيض عشرة أيام، وهي أطول مدّة بين أول الحيض وآخره، غايته ان الحيض قد يستوعبها، وقد يتفرق فيها، وان كان اللازم بلوغ مجموعه ثلاثة أيام فأكثر.

س ـ هل يعني أن الأيام الثلاثة لا يجب التوالي فيها؟

ج ـ الظاهر أنه لا يعتبر التوالي في الأيام الثلاثة (أقل الحيض)، بل يكفي الثلاثة المتفرقة، ولكن لابد من اجتماعها في ضمن عشرة أيام. نعم، يجب على المرأة ترتيب أحكام الحيض بمجرد رؤية الدم وإن لم يكن بصفات الحيض الآتية، فإن استمر ثلاثة أيام أو انقطع ثم رجع حتى تم لها ثلاثة أيام في ضمن العشرة تحققت كونه حيضاً، وإلاّ انكشف أنه استحاضة ووجب عليها قضاء الصلاة التي تركتها حين رؤية الدم.

س ـ ما هي فترة أقل الطهر بين حيضتين؟

ج ـ أقل الطهر بين حيضتين عشرة أيام، فكل دم تراه المرأة قبل إكمال عشرة أيام من الحيض الأول فهو ليس من الحيض.

س ـ ما هو الدم الذي تراه المرأة ما بين الثلاثة أيام والعشرة؟

ج ـ كل دم تراه المرأة تحكم عليه بأنه حيض إذا لم ينقص عن الثلاثة أيام ولم يزد على العشرة، وكان بينه وبين الحيض السابق عشرة أيام، سواء كان بصفات الحيض الآتية أم لا.

س ـ متى تصير المرأة ذات عادة؟

ج ـ تصير المرأة ذات عادة باتفاق الحيض مرتين متواليتين في العدد والوقت أو في أحدهما، فإن اتفقا في الوقت والعدد فهي ذات عادة وقتية وعددية، ومثالها: كما لو رأت الدم في أول كل من الشهرين سبعة أيام. وإن اتفقا في الوقت دون العدد فهي ذات عادة وقتية لا عددية، ومثالها: لو رأت الدم في أول الشهر الأول خمسة ايام، وفي أول الشهر الثاني سبعة أيام، وإن اتفقا في العدد دون الوقت فهي ذات عادة عددية فقط، ومثالها: لو رأت الدم في أول الشهر الأول خمسة أيام، وفي وسط الشهر الثاني خمسة أيام. علماً أن المراد بالشهر هو الهلالي.

س ـ هل يجتمع الحيض مع الحمل؟

ج ـ الحيض يجتمع مع الحمل حتى مع استبانته وظهوره، فإن كانت المرأة ذات عادة وقتية تتحيض برؤية الدم في عادتها أو قبل عادتها بقليل ـ يوم أو يومين ـ أو بعد عادتها قبل مضي عشرين يوماً من أوّلها، هذا إذا كان أحمر، وأما إذا كان أصفر فالأحوط وجوباً أن تجتمع بين تروك الحائض وأعمال المستحاضة.

وإن رأته بعد مضي عشرين يوماً من أول عادتها فلا تتحيض به وان كان أحمر.

وأما إذا لم تكن ذات عادة فإنها تتحيض بالدم إذا كان أحمر، ولا تتحيض به إذا كان أصفر.

س ـ هل يشترط في حيض الحامل بلوغ الدم ثلاثة أيام؟

ج ـ لا يشترط ذلك، بل يكفي بلوغه يوماً واحداً أو يومين. نعم، لا يكفي ما دون اليوم الواحد.

س ـ قد ترى المرأة سائل أصفر قريب من الأحمرار، فما هو هذا السائل؟

ج ـ المراد بالصفرة هي السائل المختلط بالدم الذي يكون بسبب قلة الدم أحمر حمرة خفيفة كالصفرة. أما السائل الأصفر الذي لا تكون صفرته من الدم فهو طاهر لا يترتب عليه شيء.

س ـ ما حكم هذه الصفرة؟

ج ـ الصفرة إن كانت سابقة على دم محكوم عليه بالحيضية بيومين فما دون يحكم عليها بأنها حيض، سواء كانت في العادة أم لا؟ وكذا إذا كانت متأخرة عنه بيومين فما دون متصلة به، بل كانت منفصلة عنه في ضمن العشرة على الأحوط وجوباً، وان تقدمت أو تأخرت عنه بأكثر من ذلك فهي ليست بحيض.

كما أنها في أيام العادة الوقتية أو قبلها

بيومين يحكم بأنها حيض، اتصلت بدم أو لم تتصل، بشرط بلوغها، وحدها أو مع الدمً ثلاثة أيام. وفيما عدا ذلك لا يحكم عليها بأنها حيض، سواء لم تكن المرأة ذات عادة أم كانت ذات عادة وتأخرت الصفرة عن العادة ولو قليلا أو تقدمت أكثر من يومين.

س ـ ما حكم مَنْ انقطع عنها دم الحيض عن الخروج للظاهر وأحتمل بقاءه في باطن الفرج؟

ج ـ وجب الفحص والاستبراء، وذلك بأن تدخل قطنة في باطن الفرج فإن خرجت ملوثةً بالدم بقيت على التحيض، وإن خرجت نقيّة بَنَتْ على الطهر، وإن احتملت مع ذلك احتباس شيء في الرحم فلتقم وتلصق بطنها بحائط وترفع رجلها على حائط وتدخل القطنة فإن خرج فيها شيء من الدم بقيت على التحيض، وإن خرجت نقيّةً بَنَتْ على الطهر، ولا يجب المبادرة للاستبراء ليلا، بل لها أن تنتظر به النهار وتبني على بقاء الحيض بدونه. ولو تعذر عليها الفحص ولو نهاراً فإنها تبقى على التحيض حتى تعلم بالنقاء.

س ـ ما حكم الدم الذي تراه المرأة في بداية دورتها والذي يكون بلون دم الاستحاضة، ما حكم الصلاة به وصيام ذلك اليوم إذا سقط الدم قبل الإفطار بدقائق؟

ج ـ يعتبر الدم المذكور من دم الحيض، ويبطل صوم اليوم المذكور إذا نزل الدم قبل مغيب الشمس لا قبل الإفطار.

س ـ المرأة التي تتناول الدواء المانع من نزول دم الحيض قد ينزل منها دم متقطع في موعد دورتها من دون ان يكون بصفات الحيض علماً أنها لو تركت الدواء المذكور نزل دم الحيض بعد ثلاثة أيام من تركه، فما حكم الدم المتقطع المذكور؟

ج ـ الدم المتقطع المذكور إن تم به مع غيره ثلاثة أيام في خمس عشرة فهو حيض وإلاّ فهو استحاضة.

س ـ المرأة التي تضع مانع الحمل الذي يسبب النزف في غير عادتها ما حكمه من حيث الصلاة والغسل كذلك؟

ج ـ إذا كان بين نزول الدم المذكور وانتهاء عادتها عشرة أيام فاكثر فاللازم عليها البناء على كونه دم حيض مع اجتماعه بقية شروطه وإن كان أقل من عشرة فتبني على أنه استحاضة وتجري عليه أحكامها.

الهوامش

(١) على الأحوط وجوباً حسب فتوى سماحته (دام ظله).

(٢) على الأحوط وجوباً حسب فتوى سماحته (دام ظله).

(٣) الأعلم هو الأقدر على استنباط الأحكام الشرعية.

(٤) الاستبراء: هو عملية للتأكد من خلو مجرى البول من البول، وفائدته الحكم بطهارة البلل المشبته بعد الطهارة.

(٥) الجرم: هو الجسم الكثيف الذي يشكل حائل بين الماء والأظافر أو الجلد.

(٦) الجنابة: وهي نجاسة معنوّية يتلبس بها بدن الإنسان لاسباب شرعية معينة.

(٧) الحشفة: تعني رأس العضو التناسلي الذكري.

(٨) سن اليأس: في الحالة الطبيعية سن اليأس خمسون سنة، وللقرشية ـ وهي التي يعود نسبها إلى قريش ـ ستين سنة قمرية.

المعلوماتية

* علي الفضل
ماجستير إدارة أعمال

إن أهمية المعلومات غدت اليوم الشغل الشاغل لكثير من المؤسسات الاقتصادية والخدمية والمنظمات بصور عامة، وفي هذا الخصوص أكد أحد علماء الاجتماع بجامعة (هارفرد) على اعتبار أن المعلومات هي المورد التحويلي والستراتيجي الأساس للمجتمعات الحديثة، وتكتسب المعلومات أهمية اقتصادية من خلال دورها البارز في عمليات الإنتاج والعمل والأنشطة الصناعية والتجارية.

فقد انتهى عصر الاقتصاد والذي يعتمد على الصناعة، لأن المعرفة وليس الصناعة هي مفتاح النمو الاقتصادي في القرن الحادي والعشرين؛ لأن عملية صناعة القرار أو التخطيط الستراتيجي لأي نشاط لا يبنى إلاّ على سيل هائل من المعلومات يتم تجميعها وانتقاء أكثرها دقة وملائمة يُتخذ على ضوئها القرار سواء كان متعلقاً بالجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي. أو في أي مجال آخر.

وحتى تكون الصورة واضحة للقارئ حول آلية الحصول على المعلومات والفرق بين المعلومات والمعلوماتية سوف نتطرق إلى مجموعة من التعاريف التي اتفق عليها أغلب الكتاب في أدبيات إدارة الأعمال وعلى وجه الخصوص مدراء نظم المعلومات وكما يلي:

لكي نتخذ قراراً ما ـ وهذا يخدمنا حتى في حياتنا الشخصية ـ لابد أن تتوفر لدينا مجموعة من البيانات (Data) التي تتكون من جزأين هما:

١. البيانات الرقمية: وتتميز بخواص رقمية ومحددة الشكل يمكن استخراج النتائج من تحليلها وقياسها.

٢. النصوص: تتميز بخواص غير رقمية وحرة التشكيل وتستخرج منها عملية التشكيل الفكري.

والبيانات تجري عليها معالجة (Process) تتكون من عمليات تحويلية تُغير من طبيعتها السائدة إلى معلومات (Information) التي عرّفت على أنها:

المعلومات Information: مجموعة من الحقائق والمفاهيم التي تخص أي موضوع من الموضوعات وغايتها تنمية وزيادة معرفة الإنسان، ويمكن أن تكون أماكن أو أشياء أو أناس، ويمكن الحصول عليها من خلال البحث والقراءة أو الاتصال أو ما شابه ذلك، ويجب أن تحمل المعلومات قيمة (وهذا ما يميزها عن البيانات).

وتختلف المعلومات عن (المعلوماتية) من حيث المفهوم، فالنظرة التحليلية للمصطلح تولد للوهلة الأولى انطباعاً سريعاً مفاده: إن المعلوماتية تعني (المعلومات) أو (الحوسبة) قبل كل شيء ولا أحد يستطيع أن ينكر أو يتجاهل أن المعلوماتية ما هي إلاّ (حوسبة إلكترونية للمعلومات) أو خلق آلي لها، إن لم نقل إن المعلوماتية هي نتاج آلي عن طريق حوسبة البيانات في حالات والمعلومات في حالات أخرى، وفي ضوء ذلك تم تعريف المعلوماتية على أنها: (ذلك الإطار الذي يتكون من تكنولوجيا المعلومات وعلوم الحاسبات ونظم المعلومات وشبكات الاتصال وتطبيقاتها في مختلف مجالات العمل المنظم وفي مقدمتها إدارة الأعمال).

ويوضح الشكل عمليات تحويل مورد البيانات إلى معلومات ومن ثم إلى المعلوماتية:

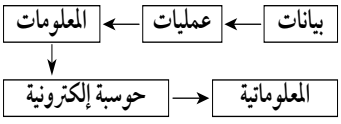

إن جوهر المعلوماتية

هو تكنولوجيا المعلومات والتي تضم الأجهزة المادية (Hardware) أجزاء الحاسوب المادية والبرمجيات (Software) إضافة إلى العنصر الأهم والذي يعتبر المعادل الموضوعي لموارد النظام المادي وهو الإنسان (الكادر البشري المعلوماتي Brian ware) والذي هو صانع المعرفة (Knowledge) وهذه العناصر الثلاثة السابقة هي البنية التحتية المعلوماتية التي أصبحت في وقتنا الحاضر معياراً لقياس تقدم البلدان والشعوب في كل مجالات الحياة.

وهنا ترد مفارقة لطيفة أخي القارئ، ففي إحدى الإحصائيات التي أُجريت في اليابان تحديداً في نهاية عقد التسعينيات أظهرت أن هناك (٤٪) من الشعب الياباني لا زالوا يعانون من الأمية!! والأمية هنا ليس بمفهومنا الحالي أي عدم المعرفة بالقراءة والكتابة لا، بل عدم القدرة على كيفية استخدام الحاسوب في شؤونهم، أي أنهم يعانون من فقر معلوماتي!.

وعلى ضوء ذلك يمكن تحديد مدى التأخر الذي تعاني منه بعض الشعوب التي تعاني من فقر غذائي وليس فقر معلوماتي ولاسيما بعض الدول العربية والإسلامية ومنها العراق، وهذا لا يعني أن تلك الدول ليس لها القدرة على تكون في الصدارة بالعكس ففي دراسات وبحوث أُعدت حديثاً (في السنتين الأخيرتين تحديداً) حول واقع المعلوماتية في دول العالم الثالث وسُبل تطويرها أظهرت أن هناك إمكانات عالية جداً في هذا المجال وخصوصاً في الجانب البشري قادرة على النهوض بواقعها لوضعها في الصدارة، لكن ذلك متوقف على دعم الدولة لهذا القطاع وزيادة حجم الاستثمار في المعلوماتية إلى الحد الذي وصلت إليه الدول المتقدمة ■

المصادر:

(١) علي الفضل، (تقييم البناء التحتي للمعلوماتية) رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الكوفة، ٢٠٠٢م.

(٢) محمود سالم سلامة، (نظم المعلومات وطرق الاختزان والاسترجاع)، الطبعة الثانية، مطبعة دار السلام، الكويت، ١٩٩٠م.

(٣) هلال البياتي، (المدخل لنظم المعلومات الإدارية)، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٢م.

(٤) سعد غالب ياسين، (نظم المعلومات الإدارية)، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، ١٩٩٨م.

(٥) سعد غالب ياسين ،(العرب وثقافة المعلومات)، جامعة زيتونة، عمان، ٢٠٠٠م.

(٦) Steven، Alter (Information System، Management perspective) 3rd . Reading MA – Addison Wesley –USA – 1999.

العولمة.. ودور المعلم فيها

* يوسف شريف المعمار

ما هي العولمة؟ هل هي مجرد فتح الحدود أمام الجميع والسماح بانتقال رؤوس الأموال بين الدول والشركات بيسر وتنازل الدولة عن جزء من سيادتها لشركات متعددة الجنسية، أم هي أسلوب جديد للحياة أفرزته وهيأت له مجمل الاكتشافات والاختراعات في مجال وسائل الاتصال الحديثة المولودة من رحم الكيان ذو الأبعاد الثلاثة:

أ ـ الآلة.

ب ـ الاختراع.

ج ـ الترجمة من لغةٍ إلى أخرى.

في الواقع هي خليط من كل ذلك. والفائدة أو الضرر منها يتوقف على الإنسان. والاحتماء بالشعور الوطني والوعي الديني هما من أنجح وسائل العلاج للحماية من خطرها. مع تأكيدنا على أن الوطنية والدينية لا يعنيان تجاهل العولمة وإنكارها ولا يعنيان نقيضها لأننا لا نريد أن ندفن رؤوسنا في الرمال.

كيف نواجه العولمة؟

الجواب: بدءاً يجب عدم الاستهانة بها وعدم

رفع شعارات استنكار ومناهضة لها لأن موقف كهذا سيرشحنا كابطال للفرص الضائعة ليس إلا..

العولمة حلبة من حلبات الصراع الحديثة، على فضاءاتها تتفتح أبواب الاتصال والتواصل مع الآخرين. فلندرس هيكلها ونتعرف على أبعادها ونسبر أغوارها التكنولوجية والفكرية وتأثيراتها الاجتماعية لكشف وتصنيع مصل حصانة ملائم لتحصين المجتمع ومن ثم توضيح وإيصال قيمنا الإنسانية والروحية السامية أولا، واكتساب العلوم والفنون الموافقة لاشتراطات عقولنا ثانياً، ذلك لنلحق بركب التقدم والتطور الحضاري دون أن نخسر أنفسنا وبلا خوف على الفكر الإسلامي.

نعم الخوف على المسلم وليس على الفكر الإسلامي لأنه فكر يحمل ذاتياً بذرة المواكبة والتفاعل والبقاء مع المستحدثات والإجابة على كل تحديات العصر استناداً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي توارثها الأئمة الأطهار(ع) ويسهر عليها مراجعنا الأفذاذ بغياب الإمام المهدي(عج) والى يوم ظهوره إن شاء الله.

إن السبيل الأمثل لتحقيق طموحاتنا في التعامل هو قيام مؤسسة تعليمية حديثة يقوم هيكلها على الدعائم الثلاث:

أ ـ المدرسة.

ب ـ المعلم.

ج ـ المنهج.

مدرسة بلا أسوار، ليس بالمعنى المادي للأسوار بل المقصود مدرسة متصلة عضوياً بالمجتمع وبحياة الناس وبقواعد السلوك المهني والاجتماعي والديني ومقياس لنبض الرأي العام، مدرسة تتوغل في أعماق المجتمع وتجند كل من يمتلك العقل الواعي والعادل ويستطيع أن يمد يد المساعدة في صياغة عقل الأمة.

معلم جديد لتلك المدرسة لا يحمل أدارن الماضي الكريه وبعيداً عن أساليب وطرق تدريس المدرسة القديمة البالية والتي كان هدفها تخريج موظفين يعملون في إطار نظم جامدة وقوانين صارمة تلزمهم بالنص وعدم الخروج عليه تكبت عندهم وعند الطالب ملكة الإبداع والمبادرة. معلم جديد يهيئ الظروف لتخريج رجال أعمال وفنانين وقياديين وموهوبين ومبدعين. معلم يزود تلاميذه بمفاتيح المعرفة وقواعد الأسلوب العلمي في البحث والتقصي والاستنتاج والاستنباط.

مناهج تحفز عقل التلميذ على الاستنتاج واتخاذ القرارات للمشاكل المطروحة عليه دون حفظ ببغاوي.

إنها وصفة أعتقد بفعاليتها أقدمها للمسؤولين عن التعليم للتعايش مع نظام العولمة والاحتفاظ بقيمنا والتمسك بديننا وبذلك فلا يمكن لكل من العولمة وثورة المعلومات أن تؤدي إلى صهر أفكارنا ومعتقداتنا في فكر واحد ■

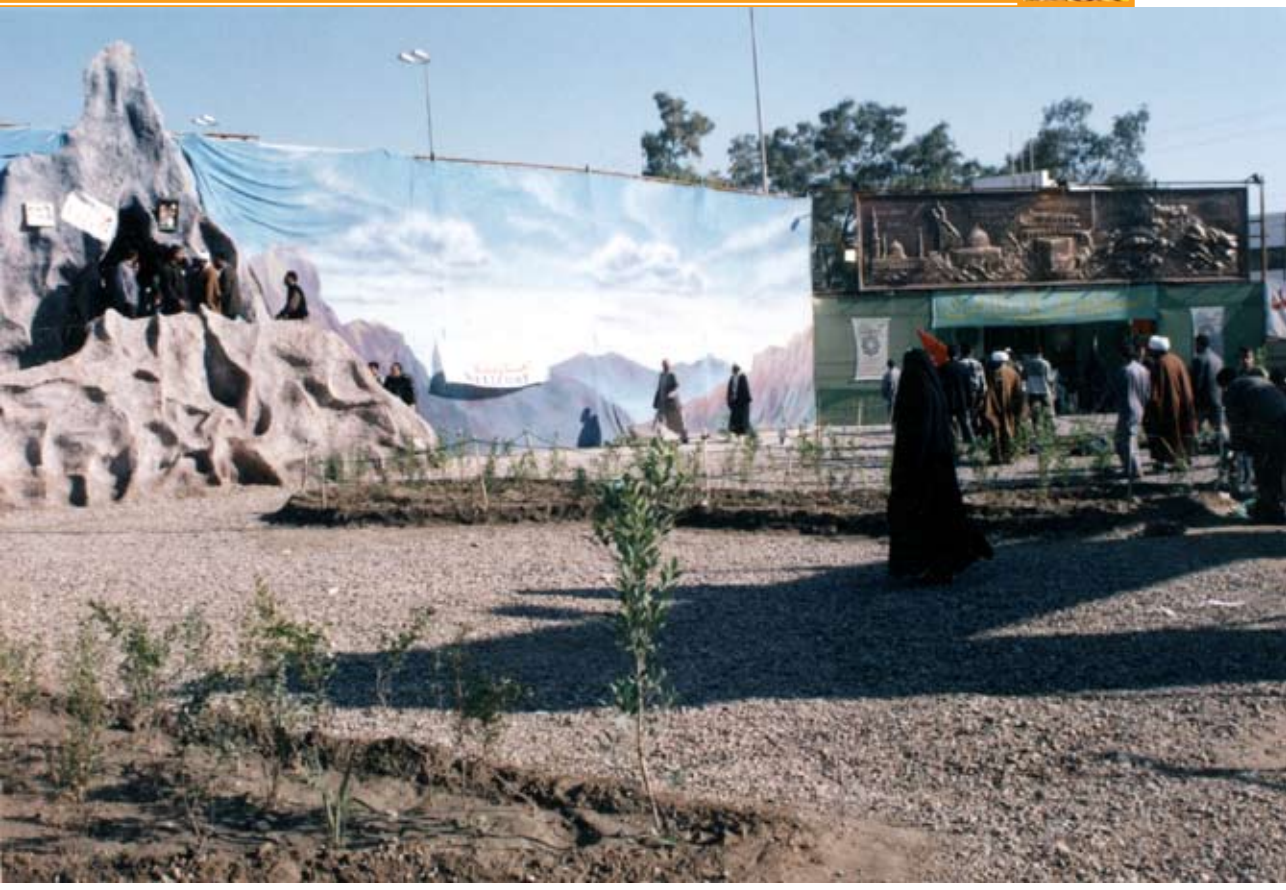

معرض شهيد المحراب العالمي الثقافي الفني الأول

التظاهرة الثقافية الأولى من نوعها في العراق

المعرض الذي اقيم في النجف الأشرف من قبل مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي وبالتعاون مع دور النشر والفن والثقافة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وعلى أرض مرقد شهيد المحراب والمؤسسات التابعة. افتتح المعرض في الرابع من شوال واختتم في يوم الرابع عشر منه. ويعتبر المعرض الأول من نوعه في تاريخ العراق المعاصر.

▪ يظهر في الصورة سماحة السيد عبدالعزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق أثناء زيارته لجناح مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي.

▪ يظهر في الصورة سماحة السيد عمّار الحكيم الأمين العام لمؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي أثناء زيارته لجناح مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية.

جناح مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

النجف والكتاب صنوان لا يفترقان... الكتاب جزء مهم من مستلزمات البيت النجفي... كثيراً ما يكون أول الموروثات في البيت كتاب... رف كتب أو مكتبة.. هي عادة نجفية ورثها الأبناء عن الآباء والأجداد... ولكن في الفترة المظلمة صعب الحصول عليه وقلة الحيلة للتواصل معه بسبب القهر والترهيب والتجويع.

وعندما أعلنت مؤسسة شهيد المحراب عن إقامة معرض للكتاب وذلك تنفيذا لرغبة المرحوم الشهيد السعيد سماحة المرجع الديني آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم (قدس الله نفسه الزكية) وبتوجيه من السيد عمّار الحكيم الأمين العام لمؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي استبشر النجفيون خيراً آملين العودة إلى ذلك التواصل الحميم بينهم وبين الكتاب في يوم افتتاح المعرض.

وبعد الانتهاء من مراسيم الافتتاح اصطفت طوابير الزائرين بانتظار وصول دورهم للدخول.. حقاً إنها تظاهرة ثقافية تحمل نكهة التجربة الأولى بعد الظلام وتعلن للآخرين مدى حب النجفي للكتاب ثقافة وتديناً.عنوان المعرض: (معرض شهيد المحراب العالمي الثقافي الفني الأول).

الزمان: من ٤ شوال المصادف ٢٩ تشرين الثاني ولمدة عشرة أيام. من الساعة

جانب من أروقة المعرض

التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساءً تتخلها ساعة استراحة للصلاة.

المكان: ساحة ثورة العشرين بجوار مرقد شهيد المحراب.

عدد المؤسسات الثقافية والفنية المشاركة في المعرض ثلاثة وثلاثون مؤسسة، من ضمنها سبعة مؤسسات نجفية وهي:

١. مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي.
٢. مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية.
٣. مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية.
٤. مؤسسة البلد الأمين.
٥. مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد.
٦. مؤسسة كاشف الغطاء.
٧. مؤسسة الزهراء.

والباقي مؤسسات من خارج العراق منها:

١. مؤسسة القرآن الكريم.
٢. جناح المقاومة الإسلامية.
٣. مؤسسة المبين. وأخريات كثيرة.

كان عدد العناوين المعروضة أكثر من ثلاثين ألف عنوان يتصدرها كتاب الله الكريم بمختلف طبعاته وكذلك علومه.

وكان عدد الزوار أكثر مما كان متوقعاً للمخططين للمعرض بحيث إن أربعة مؤسسات أغلقت أبوابها بعد اربعة أيام من بدء العرض وذلك لنفاد خزينها.

الثقافة الفردية والأنانية

هناك ثقافة سائدة ومسيطرة في عالمنا اليوم هي (الثقافة الفردية) بمعنى أن التفكير الإنساني قد تحول من تفكير المجموع إلى التفكير الفردي والأناني. ويكون هذا طبيعياً جداً إذا وعينا حقيقة الإطار العام المحيط بواقع التربية الحالية. فالطالب فور دخوله المدرسة يلقن أصول الفردية ويعلم بأنه إنما يدرس لضمان مستقبله والحصول على الشهادة المدرسية التي ترسم موقعه في المستقبل. فتراه يدرس لذاته ويتعلم من اجل الحصول على أوراق ليس غير.

أما ثقافة القرآن والدين فتؤكد أن من تعلم لله وعلم لله وعمل لله كُتب عند الله عظيماً. وغير ذلك من الروايات والحكم التي لا تريد للإنسان سوى التقرب إلى الله تعالى الذي هو مصدر العلوم.

فالمدارس بما تمثل من نهج تربوي تفرض على الأب والأم أن يدفعا بولدهما إلى الحصول على معدلات عالية، ولا تفرض عليهما ان يدفعا بولدهما إلى إقامة صلاة الصبح أو التفكر بمعاني القرآن الذي هو كتاب القانون والحياة والتطور الأوحد أو زيارة الأئمة أو الاستلهام من شخصيات الإسلام أو تنمية العزم على خدمة الناس. بل إن كثيراً من المدارس هي التي تضع اللبنة الأولى في بناء شخصية الشاب الفاسدة عبر الاختلاط الفاضح وإقامة حفلات الرقص والموسيقى والتمثيل البعيد كل البعد عن الفن الواعي والهدف الأصيل.

لقد صدق رسول الله(ص) حين قال: (ويل لأولاد آخر الزمان من آبائهم، فقيل: أو من آبائهم الكافرين؟ قال: بل آبائهم المسلمين).

فالانحراف والفساد مصدرها الآباء لسوء التربية أو لإيكال الأمر إلى من لا يؤمن بالدين والوحي والعفة والحياء. لذا ترى الجريمة والخواء الفكري يتفشيان. وترى العكس لدى الأجيال السابقة رغم قلة الإمكانات وبساطة العيش. فالشجاعة والإيمان ومعاني الصدق والوفاء هي الحاكمة.

حوراء عبد الزهرة اللهيبي

قسم اللغة العربية

يقظة سبات

ذات يوم كنت نائمة وفجأة صحوت من حلم كان يراودني على مر السنين التعيسة فكنت لااعرف منه الليل او النهار فكان يستغرقني على طوال الايام ويدعو الي بالنوم العميق فكنت اشعر باني مقيدة بسلاسل ثقيلة تكسر ظهري كلما اردت القيام او الصحوة من هذا الحلم المخيف، لم اجد الطاقة او القدرة على الحركة او القيام لان من حولهم نيام ايضاً قد غطى عليهم نوم عميق سيطر على انفاسهم فلا يسمع منهم سوى انين الخوف والآلام التي تجرعوها من هذه الدنيا ومافيها من ظلم، اخذ بهم الى هاوية الظلام الدامس حيث عتمة في الضوء تكاد لاترى فيها شيئاً سوى الخيال الذي سيطر على عقولهم، فهم اناس يسيرون بلا عقول ولا قلوب تشعرهم بالانسانية تجاه الانسان الاخر، فالرحمة قد ذهبت مع اهلها ولم يبقى سوى المال المصدر الوحيد الذي يجعلهم يتجهون اينما اتجه حتى ولو كان في النار فهذا لايهم! مادام هناك مال فالحياة تبتسم لك بكل مغرياتها كما يقال، فانك اذا صادفت هؤلاء وجدتهم لايحملون من صفات الكائن الحي سوى صولرة انسان مات فيه الشعور بالمسؤولية والتفكير بحياة الاخرة، بل ان هذه الكلمة اصبحت في وقتنا الحاضر شبه (نكته) ، يتداولها البعض مع البعض الاخر قائلاً باستهزاء: دعونا ننسى هذا الامر فهذا الا يهمنا ولا تدخلونا في امور دينية لاتخصنا، وكأنهم ليسوا من البشر الذي انزل الله تعالى عليهم القرآن الكريم. ان هذا الدستور لم ينزل على النبي

الاكـرم(ص) فقـط بل هو للنـاس كافة، فـان كنت لاتريـد حيـاة الاخـرة او بالاحـرى تريد ان تنسـى هـذا اليوم وتفكـر بحياة الدنيا ومتاعهـا وتتبعد عن اوامـر الله تعالى ولوازمه، فان هـذا القرآن لم يمنعك مـن حقك في هـذه الحيـاة الزائفـة بل عـلى العكس اخـذ ينظمها في جميع جوانبها سـواء كانت اجتماعية او اقتصادية او سياسية ...الخ. ولكنه بحدود حيث توفـر للبـشر حيـاة الرفاهيـة والاسـتقرار والعـدل والمسـاواة وما الى ذلك مـن الحقوق التي شرعها الله لنا في دستوره الكريم والتي منعنا من حق التمتع بها طـوال ثلاثـين عاماً مـرت من اعمارنـا وهي سرقت منا احلى ايامنا وتغير انفسـنا الى اسـوء تغيير وتقيدنا بحبـال الذل والهـوان والرعب وسـيطرة الشـيطان علينا.

اما ان لنا اليوم ان نستيقظ من هذا الحلم المخيف والخانق لانفاسـنا ونقضي عليه بصوت الحق ونميته الى الابد!

فـان كان سـابقاً لاتوجـد حريـة ولاعـدل ولامسـاواة بـين الاخريـن ولا تفكـير في المسـتقبل الوميض دبيناً وحضارياً .

فاننـا اليـوم وبعد التحـرر من هذا الحلـم الظالم نسـتطيع ان ننجـز مـا كنـا عاجزين عنه طـوال هذه الاعـوام المظلمة ولانـدع الفرصة تضيع مـن ايدينا مرة اخرى، بل علينا ان نستغلها باعلاء صوت الحق الـذي طالما كان يعاني من السـكوت الهـاديء، وان نسـير على هـذا الطريـق مادمنا مؤمنين بـان مصيرنا واحـد وهو خدمـة هـذا البلـد العظيم بلـد الانبياء والرسـل والائمة الاطهار والسـير على منهجهم بما يحقق رضـا الله تعالى ورسـوله وآلـه، وكذلك مافيه من رضا لانفسنا ومن ثم رضا المجتمع العام.

فاطمة الصافي
طالبة جامعية

أفديك روحي يا بلدي

فـي كل بـلاد العالم.. يتعايش شـبان الدنيا مـع أحلامهـم.. يحلمـون بالدفء، بالعطـر، بفضاءات الفـرح الملون وحدائق الزهـر الفوّاح.. ولعب الكـرة. إلا نحن.. في هذا البلد الجريح.. تتفاخر أحلام شبابه من بين قضبان السجون وتتراقص مع أسواط السجانين.. صبراً واحتساباً.. لنستعرض ما كتبته الشابة الجامعية زهراء:

يا بلد الحضارات.. يـا بلد الخيرات.. يا صاحب الآلام والآهات. لقد سـمعت بأذنيّ بأن العـراق قد مات.. وان ابنـاؤه اليتامى يُشرّدون لسائر الدويلات.. لقد سمعت بان أبينا الوطن قد طُعِن بجراحات.. بل راودتني صرخـات يتاماه من سـجن ابـو غريب وآخر من نقرة السلمان، وآخرون تتهاوى أصواتهم بين أفواه الديدان لم يسـمع لهم حسيس ولا نجوى..

ولكـن بقناعـات المؤمـن واندفاعات الـروح الشـبابية تتفاءل.. تبنـي برجاً في أحلام وتمنح الوطـن حقه، وتحلم بالمدينة العادلة..

وهاهم أحفـادك اليتامى أقسـموا أن يجعلوا من الورق والقلـم مناديل لتضميد جراحاتك، ومن سواعدهم القوية وعقولهم النيرة ما تشتفي منه آلامك، حتى تستكمل رسـالتك السـماوية وتكن عاصمة للدولة المهدوية، يردد أبناؤك معاً.. أفديك روحي يا بلدي..

زهراء ناجح الصراف